شرح

الأُصُول الثّلاثة

للإمام المجدِّد/ محمد بن عبد الوهاب

رَحِمَهُ الله

شرح وتعلق

عيسى بن سالم بن سدحان

العازمي

المتن

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَى: العِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾" فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ).

الشرح

الحمد لله، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذا هو الشرح والتعليق على الأصول الثلاثة للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهذه الأصول ألَّفها المؤلِّف رحمه الله ليُبيِّن فيها الأمور المهمة وهي الأمور التي يسأل عنها الإنسان في قبره، إذا دخل القبر سُئِلَ عن هذه الثلاثة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

فذكر المؤلف رحمه الله هذه الأصول الثلاثة، وهذه الأصول مما ينبغي أن تُحفَظ فيحفظها الإنسان ويعرف شرحها؛ ولذلك كان "علماء الدعوة" يُحفِّظونها العوام، حتى أنهم كانوا يتحفظون هذه الأصول بعد صلاة الفجر في المسجد، وكان الرجل يحفظ هذه الأصول، وكان كثيرمن العوام يحفظ هذه الأصول؛ لأن هذه الأصول هي التي يُسأَل عنها الإنسان في قبره.

والمؤلف رحمه الله هو الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية النجدية، وقد فتح الله عز وجل عليه ووُفِّق، ونحسبه والله حسيبه أنه مخلص في دعوته؛ ولذلك كان لها القبول عند الناس.

وهذا الإمام له أعداء كثيرون؛ لأن الإنسان إذا اتبع الرسول فلا بد أن يجدأمامه أعداء، هذه سنة الله عز وجل في خلقه، والإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو محمد بن عبد الوهاب التميمي، ومن أراد أن يعرف شيء من سيرة هذا الإمام فليرجع إلى الكتب المؤلفة في التراجم.

والمؤلف رحمه الله له كتب كثيرة، من هذه الكتب [الثلاثة الأصول]، وقيل: أنها [الأصول الثلاثة].

والإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كما تقدَّم قد يقع في عرضه الكثير من أهل البدع؛ ولذلك يقال إذا رأيت أن الرجل يقع في محمد بن عبد الوهاب أو شيخ الإسلام ابن تيمية فاعرف أنه صاحب هوى؛ لأن الإمام محمد بن عبد الوهاب كان يُعلِّم الناس توحيد الألوهية فيقدح فيه أهل الشرك الذين يتوجهون للقبور ويعبدونها من دون الله، فهؤلاء يقفون أمام دعوته.

وشيخ الإسلام ابن تيميةكان يُبيِّن توحيد الأسماء والصفات؛ ولذلك تجد أهل البدع من الذين ينكرون الأسماء والصفات يقدحون فيه ويردون عليه، يريدون أن يقفوا أمام دعوته.

ولذلك من أراد أن يعرف الإمام محمد بن عبد الوهاب فليقرأ كتبه، إن كان صادق فليقرأ كتبه، فلن تجد في هذه الكتب إلا: قال الله، قال رسوله، قال السلف، وهكذا.

ولذلك ذكروا أن عالم من علماء الهند من أهل السنة كان يطعن في الإمام محمد بن عبد الوهاب ويلعنه في درسه ويقول: "أتى للمسلمين بكذا وحصل منه للمسلمين كذا وكان رجل عالم من أهل نجد أتى إلى هذا الرجل فسمِعه" فعجب لهذا الشيخ؛ كيف أنه يقدح في الإمام محمد بن عبد الوهاب مع أنه من أهل السنة؟! وكان هذا

الرجل النجدي كان عنده شيء من الذكاء فأخذ كتاب التوحيد وأزال الغلاف حتى لا يُعرَف أنه من تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

- فقال للشيخ العالم الهندي: "يا شيخ أقرأ هذا الكتاب أريدك أن تُعلِّق عليه" فقرأه الشيخ، فلما أتى من الغد قال: "ما رأيت يا شيخ في هذا الكتاب؟".

قال: "والله ما رأيت إلا قال الله، قال رسوله، قال السلف" بل إن هذا الكتاب شبيه بصحيح البخاري.

- قال: "يا شيخ هذا من تأليف الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي تقدح فيه ".

قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله، أستغفر الله".

وبدأ الشيخ يدعو للشيخ محمد بن عبد الوهاب، قيل أنّهُ ما افتتح درس إلا يدعو للشيخ بعد الحمد والصلاة على الرسول **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ ولذلك الإنسان الذي يريد أن يعرف الشيخ فليقرأ كتبه، كتبه موجودة: [كتاب التوحيد]، [الأصول الثلاثة].

وسترى أن الشيخ رحمه الله لا يأتي بشيء من عنده، بل الشيخ إذا أتى بشيء يقرنه بالدليل، كان رحمه الله يقرن الكلام بالدليل، إذا ذكر مسألة قرنها بالدليل، وسترى إن شاء الله هذا في هذه الرسالة.

: **(الأصول الثلاثة)** الأصول جمع أصل، **والأصل** هو ما يُبنى عليه غيره.

قال المؤلف: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** ابتدأ المؤلف رحمه الله كتابه بالبسملة لأمورٍ ثلاثة:

←الأول: اقتداءً بكتاب الله عز وجل، حيث أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** افتتح كتابه بالبسملة واختتمه بالبسملة؛ فكل سورةٍ في القرآن مبدوءة ب "بسم الله" عدا براءة، وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لما جمعوا القرآن أشكلت عليهم سورة براءة: هل هي من السورة التي قبلها أم هي سورة مستقلة؟ ولذلك وضعوا فاصلة ولم يضعوا بسملة.

←أيضًا الأمر الثاني: اقتداءً بالنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ حيثُ كان **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يبدأ كتاباته ومراسلاته بالبسملة، فقد جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عباس أنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما بعث إلى هرقل قال: **«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ»** إلى آخر الحديث.

وأيضًا لحديث: **« كُلُ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ فَهُوَ أَبْتَرُ أَوْ أَقْطَعُ»** وهذا الحديث فيه ضعف ولكن له طرق كثيرة؛ ولذلك حسَّنه بعض العلماء بمجموع طرقه.

قال: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** و "بسم" الباء للاستعانة، يعني أبتدأ مستعيناً بالله فيما أريد أن أصنع، والجار والمجرور متعلق بمحذوف، متأخر مناسب للمقام، فعند التأليف: "بسم الله أُؤلِّف" وعند الأكل: "بسم الله آكل"، وعند القراءة: "بسم الله أقرأ" وهكذا. فهو متعلق بمحذوف مناسب للمقام.

وقوله: "بسم الله" الله علم على الرب عز وجل، لا يُسمَّى به غيره، وهو الاسم الذي ترجع إليها الأسماء الحسنى وتُضاف إليه؛ فيُقال: من أسماء الله "الرحمن" ومن أسماء الله "العزيز".

لا يقال: من أسماء "الرحمن" الله.

ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]والله هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

"**والله**" **أصلها** الإله حُذِفَت الهمزة وأُدغِمَت اللام في اللام فصارت الله، لام مشدَّدة مثقَّلة، **والإله هو المعبود** حبًّا وتعظيمًا.

قال: **(الرحمن)**الرحمن على صيغة فعلَان، أي ذو الرحمة الواسعة العامة الذي شملت الخلق، المؤمن والكافر، البر والفاجر، فرحمة الله عز وجل شملت الخلق جميعًا، الإنس والجن، جميع الأحياء شملتهم رحمة الله عز وجل، وهي دالة على الوصف، دالة على وصف الله، وصف ذاته.

(الرحيم) يعني الموصل لرحمته من يشاء، والرحيم على صيغة فعيل، أي الموصل رحمته لمن يشاء، الله عز وجل يُوصِل رحمته لمن يشاء وهي دالة على صفة الرحمة الخاصةبالمؤمنين؛ ولذلك الرحيم خاصة بالمؤمنين، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣] وهي دالة على الفعل.

قال: (اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللَّهُ-)اعلم يعني اجزم، وهذه الكلمة يُؤتَى بها للتنبيه، لما سيُلقى، وهذه الصيغة صيغةٌ خبرية إنشائية المراد بها الدعاء؛ فيدعو لك المؤلف عند ابتداء هذه الرسالة بالرحمة، يقول: "أسأل الله أن يرحمك".

يقول: "اعلم أسأل الله عز وجل أن يرحمك" فهذا يدل عليرحمة المؤلف رحمه الله بالمتعلم، وهكذا ينبغي أن تكون الدعوة، ينبغي أن يكون فيها رحمة ولين؛ لأن الغلظة والشدة لا تأتي بخير، الشديد والغليظ ينفر الناس منه؛ ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَوهو أفضل الخلق قال له ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩].

فلابد للعالم والمعلم أن يكون ذا رحمة بالمتعلم ويريد له الخير والنجاة من الجهل.

قال: (أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا) علينامعشر المكلَّفين من الإنس والجن،، والضمير هنا ضمير الجمع عائد للمكلفين.

(أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ) يعني لا بد ويتحتم على المسلم أن يتعلم هذه الأربع مسائل، والمسائل جمع مسألة وهي ما يُبرهَن عنه في العلم.

قال: (الأولى) يعني الأولى من هذه المسائل: (العِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ).

فقوله: العلم، **العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً**، ودرجات العلم ستة:

←الأولى: العلم وهو الذي تقدم تعريفه وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً، فمثلاًلو قيل لرجل: متى كانت غزوة بدر؟ قال: في السنة الثانية من الهجرة؛ فهذا يسمى علم؛ لأنه أدرك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً.

←الثاني: الجهل المركب: وهو الجاهل الذي يجهل أنه جاهل؛ لأنه مركب من أمرين: الأمر الأول: الجهل، الأمر الثاني: أنه يجهل أنه يجهل.

كما لو قيل لشخص: متى كانت غزوة بدر؟ قال: "في السنة العاشرة من الهجرة" يقولها يقيناً في نفسه، فهذا يسمى أيش؟ يسمى جاهل جهلاً مركباً لأن غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، وهو جزم بأنها العاشرة؛ فهو جهل الوقت وجهل أنه يجهل.

← الثالث: الجهل البسيط: **وهو عدم الإدراك بالكلية،** كما لو قيل لشخص: متى كانت غزوة بدر؟ قال: "الله أعلم" فهذا خير من الأول لأنه يجهل وعرف قدر نفسه، قال: "الله أعلم" هذا جهل بسيط.

← الرابع: **الظن وهو إدراك الشيء مع ضد مرجوح،** كما لو قيل لشخص: متى كانت غزوة بدر؟ قال: "أظن والله أعلم أنها السنة الثانية، ما أنا متأكد" ولكن هذا الذي في نفسي؛ فهذا يسمى ظن لأنه أدرك الشيء مع ضد مرجوح.

←الخامس: **الوهم، وهو إدراك الشيء مع ضد راجح،** كما لو قيل لشخص: متى كانت غزوة بدر؟ قال: "ما أدري لكن يُحتمَل وأنا لست بمتأكد أنها في السنة الثالثة، وليس عندي يقين" هذا يسمى وهم.

← السادس: الشك وهو التردد بين أمرين لا مرجِّح بينهما، يعني كما لو قيل خمسين في المئة هنا وخمسون في المئة هنا، ليس عنده شيء يثبت عليه؛ فهو محتار بين أمرين.

قال: **(الأُولَى: العِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ)**معرفة الله تنقسم إلى قسمين:

-**الأول: معرفة ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وكيفية صفاته** وكيف هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في ذاته وصفاته، فهذا ليس بمطلوب ولن يصل الخلق إلى علمه، لا نبي مرسل ولا ملك مقرَّب، لا يمكن للخلق أن يُحيطوا بالله عز وجل علما؛ ولذلك إذا دخل الإنسان في هذا الشيء ضل، فلا يمكن أن يعرف كونه صفات الله سبحانه وتعالى يعني كيف صفة الله وكيف ذات الله هذا ليس بمطلوب، وهذا العلم محجوب علمه عن الخلق في الدنيا والآخرة، لا يمكن للخلق أن يعلم كيف الله عز وجل كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه:١١٠]وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]يعني لا تُحيط به.

الله عز وجل لا يمكن أن يُعرَف كيفية صفاته على ما هي عليه لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا العلم ليس بمطلوب من الخلق؛ لأن عقولهم لن تصل إليه ولن يستطيعوا ذلك، الله عز وجل أكبر من كل شيء وأعظم من كل شيء؛ فهو الإله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الحق لا إله إلا هو.

- **الثاني: معرفة أسمائه وصفاته ومعاني ذلك،** يعني يعرف الله عز وجل بأسمائه وصفاته ومعاني الصفات، ومعرفة أن الله عز وجل موجود ومعرفة أن الله عز وجل هو المعبود بحق دون غيره فهذا مطلوب، وهو المراد هنا، وهو أشرف العلوم على الإطلاق، لأن العلم يشرُف بالمعلوم، والله عز وجل أعظم من كل شيء وهو الإله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فمعرفة الله بأسمائه وصفاته أشرف العلوم.

قال: **(وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ)** يعني معرفة النبي الذي بعثه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تتعرف إلى اسمه ونسبه ورسالته التي أُرسِل بها وتتعرف على سيرته وتتعرف على غير ذلك مما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا مطلوب وتعرف سُننه وعباداته ونحو ذلك؛ فهذا من أشرف العلوم أيضًا؛ لأنه معرفة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **(وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ)** الدين هو الطاعة، فإذا دانَ الإنسان للشيء فهو قد أطاعه؛ ولذلك سُمِيَ دين الله عز وجل دين لأن المسلم أطاع الله؛ فيسمى دين.

(دين الإسلام) بمعناه العام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، هذا بمعناه العام.

قال: **(وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ)**تعرف الدين الذي جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عند الله، تعرف الصلوات الخمس وتعرف الزكاة وتعرف الحج وتعرف الصوم وتعرف السنن والرواتب ونحو ذلك؛ فتتعرَّف إلى هذا الدين.

قال المؤلف: **(بالأدلة)** يعني بالدليل وليس بالتقليد؛ فلا بد أن تعرف الدليل، وهذه الأصول لا بد فيها من المعرفة بالدليل، فلا بد أن تعرف أن الله عز وجل هو المستحِق للعبادة دون غيره بالدليل، لا تقول: بالتقليد، ما يصح هذا، مثال ذلك: رجل قال: "أنا أعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله" قلنا: لما؟ قال: "لأن العالم الفلاني قال لي ذلك؛ فأنا أُقلِّده" هذا لايصح – لابد أن يعرف أن الله عز وجل هو المستحِق للعبادة دون غيره بالدليل.

أيضًا معرفة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ لو قال: "أنا أعتقد أن محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** رسول لأني مُقلِّد" هذا لا يصح لأنه لا بد من الدليل لأن هذا أصل، فلا بد من الدليل.

وأيضاً دين الإسلام كما لو قال: "أعتقد أن دين الإسلام حق ولكن تقليداً"؛ نقول: لا بد أن تعرف الدليل ولو مرةً في العمر، ولذلك هذه الأمور لابد فيها من المعرفة بالدليل، ما يصح فيها التقليد، وأما فروع العقيدة وفروع الفقه هذه يصح فيها التقليد، إذا ما استطاع الإنسان أن يصل للحق بنفسه فيجوز له التقليد، ولكن الأصول كمعرفة أن يوم القيامة حق وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله عز وجل لا معبود بحق إلا هو؛ ومعرفة أن محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**رسول، هذا لا بد فيه من الدليل. ولاكن لو عرف الدليل مرةً من الزمن ثم نسيه أو جهله فإن هذا كافي إن شاء الله.

قال: **(الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ)** أي العمل بما علم، وهذا ثمرة العلم أن يعمل؛ بما علم ولذلك إذا علم الإنسان فإنه يتحتم عليه العمل، وقد وصف الله عز وجل اليهود الذين لا يعملون بماعلموا بأسوأ الصفات؛ قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الجمعة:٥]يعني كالحمار الذي يحمل كتب فوق ظهره، هل الحمار يستفيد من الكتب شيء؟ الجواب: لا.

فالإنسان الذي لا يعمل فإنه ليس على جادة صحيحة لأن، ثمرة العلم العمل.

قال: **(الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ)**يعني إذا علم ثم عَمِل دعا إلى هذا العلم، والدعوة إلى الله هو أن الإنسان يُبين أن الله هو المعبود بحق دون غيره وأن محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مبعوثٌ من الله ويبين الإسلام ويبين الصلاة والزكاة والحج ويدعو الناس إلى ذلك ويبين لهم شرائع الإسلام.

والدعوة إلى الله من أفضل المقامات؛ ولذلك قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت:٣٣]قال الحسن رحمه الله: "ذاك حبيب الله، ذاك ولي الله "أسلم في نفسه وعمل صالحًا ودعا الناس إلى عبادة الله.

فالدعوة إلى الله هي من أشرف المقامات ولكن لا بد من علم؛ لأن المؤلف رحمه الله ذكر العلم قبل ذلك؛ فلا بد للإنسان إذا دعا إلى الله أن يكون على علم كما قال

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنبيه:﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[يوسف:١٠٨]يعني على علم ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف:١٠٨]يعني وأتباعي يدعون إلى الله، على علم، ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

فلا بد من العلم، والفرق بين الدعوة إلى الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الدعوة: هي أن الإنسان يقوم ويبين للناس دين الله تعالى فيقول: "الصلاة فضلها كذا، وتارك الصلاة عليه كذا وكذا" ويقول مثلًا: "المستحِق للعبادة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا يستحق العبادة غيره" وهكذا؛ فهذا يسمى دعوة إلى الله.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الإنسان يخص شخص أو جماعة ويكون له سلطة عليهم فيأمرهم؛ يقول: "لا تفعلوا هذا، افعلوا هذا "والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" هي من أفضل المقامات.

قال: (الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ)الصبر هو حبس النفس، قال: (عَلَى الأَذَى) الأذى هو ما يلحق الإنسان من قول أو شتم أو نحو ذلك، فقد يُؤذَى في العلم كما لو خرج إلى الناس وبلَّغهم دين الله عز وجل قد يُؤذَى وذلك لسببين:

السبب الأول: أن هذا مقام الرسل، والرسل قد أوذوا؛ فأنت الآن قمت مقامهم، فلا بد أن تؤذى؛ والله عز وجل قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[الأنعام:١١٢]لكل نبي وأنت إذا قمت مقام النبي فلا بد أن تُؤذَى؛ فاصبر واحتسب.

السبب الثاني: أنك إذا دعوت إلى الله فأنت تخالف أهواء الناس، والناس لهم أهواء واعتقادات وتصورات، فإذا بدأت تغير هذه الاعتقادات وتعارض هذه الشهوات فلا بد أن تُؤذَى؛ فوطِّن نفسك على الصبر وأسأل الله عز وجل الثبات.

قال: (الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى، وَالدَّلِيلُ)

يعني الدليل على هذه الأربع المراتب: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ﴾)هذه المراتب الأربع في هذه السورة، ففي قوله﴿وَالْعَصْرِ. * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ. * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذه مرتبة العلم، وقوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هذه مرتبة العمل به، وقوله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾هذه مرتبة الدعوة إليه، وقوله ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ هذه مرتبة الصبر على الأذى فيه.

فهذه السورة الكريمة استدلَّ بها المؤلف لأن فيها هذه المراتب الأربعة.

قال سبحانه ﴿وَالْعَصْرِ.﴾وهو الزمن، وأَقسَمَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالزمن لما فيه من العجائب والوقائع والدهور التي مرت في هذه الدنيا، فالعصر فيه من العجائب الشيء الكثير.

أُممٌ أُزيلت وأُممٌ ملكت وأُممٌ ذهبت وأُممٌ عُذِّبَت ونحو ذلك، فهي هذه العصور والأزمان والتغيرات فيها من العجائب الشيء الكثير؛ ولذلك أقسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعصر، ولله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُقسِم بما شاء من خلقه وليس لخلق الله أن

يُقسِموا بغيره، لا يجوز للإنسان أن يُقسِم بغير الله ولله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُقسِم بما شاء من خلقه.

قال: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ إنَّ توكيد، وقوله:﴿الْإِنسَانَ﴾ ال هنا للجنس، يعني جنس الإنسان؛ فهذا داخل فيه كل إنسان، ما يخرج أي إنسان إلا من أخرجه الله عز وجل في هذه السورة، قال: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ "لفي" تدل على انغماس الإنسان في هذا الشيء، قال: ﴿لَفِي﴾ لأن "في" للظرفية؛ فتدل على أن الإنسان قد انغمس غاية الانغماس في الخُسر.

﴿خُسْرٍ﴾ والخُسْر هو الضياع والخسارة وعدم الفلاح.

قال: ﴿إِلَّا﴾وهذا استثناء، هؤلاء استُثنوا من الخسارة.

قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني آمنوا بقلوبهم وبألسنتهم وبجوارحهم، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني عملوا الأعمال الصالحات، والأعمال الصالحة جمع عمل صالح.

والعمل الصالح هو ما وُجِدَ فيه أمرين:

- الأمر الأول: أن يكون مخلصًا فيه لله.
- الأمر الثاني: أن يكون متبعاً فيه لرسول الله؛ فهذا هو العمل الصالح.

إذا كان الإنسان مخلص في عمله لله وكان متبع لرسول الله فهذا هو العمل الصالح.

قال:﴿وَتَوَاصَوْا﴾يعني أوصى بعضهم بعض، والوصية هي الأمر بالشيء، هام.

﴿بِالْحَقِّ﴾ والحق هو ما بُعِثَ به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾يعني عهد بعضهم لبعض أن يصبر، يقول له: "اصبر على الأعمال الصالحة، اصبر على العمل الصالح، اصبر على الدعوة إلى الله، اصبر على كذا" فتواصوا بالصبر، يوصي بعضهم بعضًا بالصبر.

قال: (قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) الشافعي: هو محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة الذي يُنسَب إليه مذهب الشافعية.

(قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ») "لو" حرف امتناعٍ لامتناع، يعني امتنع الثاني لامتناع الأول، قال: (لو مَا أَنزَلَ الله) يعني لو ما أنزلَ الله عز وجل من الشرع، (لو ما أنزل الله حجة) يعني دليل وحجة.

(عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ)يعني لو أن الله عز وجل ما أنزل إلا هذه السورة "سورة العصر."لكفت الخلق، والكفاية هنا كفاية منهج يمشون عليه وليست كفاية لهم في الشرع؛ كفاية لهم في المنهج الذي يمشون عليه بمعنى أن يعملوا الصالحات ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر.

قال المؤلف رحمه الله: (وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) البخاري هو محمد بن إسماعيل البخاري صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله عز وجل الذي هو صحيح البخاري.

قال رحمه الله: (**"بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ"**) الباب في اللغة هو المدخل إلى الشيء، وأمَّا في الاصطلاح فهو المدخل إلى علم مجموع فيه مسائل ونحو ذلك.

قال: (**العلم**) كما تقدَّم إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، يعني العلم الشرعي.

(**قبل القول والعمل**) يعني قبل القول باللسان وقبل العمل بالجوارح، فلا بد من العلم أولًا ثم القول و العمل ثانيًا.

قال: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ**).

قال سبحانه: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾ هذا العلم، يعني اعلم واجزم ﴿**أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ أي لا معبود بحق إلا الله، ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾ وهذا العمل، يعني اطلب المغفرة من ربك.

قال: (**فَبَدَأَ بِالعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ**)والعلم الممدوح هو علم الكتاب والسنة، وعلم الكتاب والسنة له شرف عظيم، فمن فضائل العلم أنه سبب لرفعة الإنسان في الدنيا والآخرة، قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[المجادلة:١١]قال ابن مسعود رضي الله عنه: "**قد مدح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أهل العلم في هذه الآية**".

قال: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:١١]وهذه الدرجات عظيمة؛ ولذلك جاء في الحديث: «الْجَنَّة مائَة دَرَجَة مَا بَين كل دَرَجَتَيْنِ مِنْهَا كَمَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض»وأيضًا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ﴾[الروم:٥٦]قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنَّ الخير محصور في العلم والإيمان".

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[الزمر:٩]ما يمكن أن يستوي العالم بربه، الطائع لربه بالجاهل العاصي لربه الذي عنده جهل، لا يمكن أن يستوي هذا وهذا.

وقد جاء في الصحيحين من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَيُلهِمْهُ رُشْدَهُ»هذا الحديث له منطوق وله مفهوم:

- منطوق الحديث: أن من أراد الله عز وجل به خيرًا فهَّمه في الدين وعلَّمه.

- وأما مفهومه: أن من لم يُرِد الله به خيرًا –نسأل الله العافية– لم يُفقهه في الدين؛ ولذلك إذا رأيت الإنسان مُعرِض عن الفقه في الدين فاعرف أنه ما أريد به خير، إذا رأى مجالس الذكر والعلم فأعرض عنها؛ فهذا قد يكون والله المستعان ما أُريد به خير.

وأيضًا جاء في الحديث في السنن أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقال: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» فالمتعلم إذا رُزِقَ العلم فإنه يُصبِح وارث للنبي، كما أن الرجل إذا مات ورث ابنه هذا المتعلم يرث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَويصبح وارث له؛ هذا فيه فضل عظيم.

ولذلك خرج أبو هريرة رضي الله عنهم إلى السوق فقال: "أنتم في السوق وميراث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَيُوزَّع في المسجد؟!" فاجتمع الناس في المسجد ينظرون ما هذا الميراث، ويريدون هذا الميراث؛ فوجدوا حِلَق علم، هنا قوم يقرؤون وهنا قوم يقرؤون فقالوا: "أين الميراث يا أبا هريرة؟" قال: "هذا الميراث «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ»فالإنسان الذي يُرزَق العلم يكون وارث للنبي.

وأيضًا لأن الإنسان إذا علَّم الناس فإن له مثل أجورهم؛ لذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَله أجر جميع من آمن به، من مبعثه عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة، كل من يؤمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَويعمل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَمثل أجره؛ لأنه عليه الصلاة والسلام هو الذي علَّم الناس شرع الله.

كذلك العالم إذا علَّم الناس وعملوا فإن له مثل أجورهم كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقال: «وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

وقد جاء في الأثر أن الرجل إذا وقف أمام ميزانه يوم القيامة أُتِيَ بأجر مثل السحاب "ككوم السحاب" ثم وُضِعَ في ميزان حسناته؛ فقال: "أَنَّى لي هذا" فيُقال له: "هذا بتعليمك الناس الخير".

ولأن الإنسان لا يمكنه أن يدعو إلى الله عز وجل إلا بعلم، فإذا عَلِم فإنه يستطيع أن يُعلِّم.

وهذه الرسالة ذكر المؤلف رحمه الله فيها المسائل الأربع مفصلة.

وأنا أوصي أن تحفظ هذه الرسالة، لأن الحفظ من أعظم وسائل العلم -بعد توفيق الله عز وجل الذي هو الأعظم بلا شك- ولكن من أسباب العلم وأعظمها نفعا أن يحفظ الإنسان، ولذلك يقول: "وَاحْفَظْ فَكُلُّ حَافِظٍ إِمَامٌ" فلا بد أن تحفظ، العلم حتى يكون سبب لانتفاع بأذن الله تعالى.

المتن

قال المؤلف رحمه الله: **(اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ، وَالعَمَلُ بِهِنَّ:**

الأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ، لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾).

الشرح

قال المؤلف رحمه الله: **(اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ)** هذا كما تقدم هذه الجملة صيغةٌ خبرية، وهي إنشائية المراد بها الدعاء يعني يدعو لك المؤلف أن الله عز وجل يرحمك، وإذا دُعِيَ للإنسان بالرحمة فهي تشمل الماضي والمستقبل، إذا قال لك الشخص: "رحمك الله" يعني غفر لك ما مضى ـ ووفقك فيما بقي، وإذا قيل: "غفر الله لك ورحمك "فالمغفرة تكون للماضي والرحمة للمستقبل، هذا إذا قُرِنَ بين المغفرة والرحمة.

والمؤلف هنا رحمه الله يدعو للمتعلم بالرحمة يقول: **(اعْلَمْ)** يعني اجزِم، **(رَحِمَكَ اللهُ)** يعني غفر لك ما مضى ووفقك فيما بقي.

قال: (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ)الواجب هو المتحتِم على الإنسان، وقوله: (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ)والواجب هنا واجب عيني يعني يتعين على كل مسلمٍ ومسلمة؛ ولذلك المؤلف ذكر الذكروالأنثى، وذكر بالإفراد فيشمل الذكر والأنثى.

(عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ) يعني لا بد للمسلم والمسلمة أن يتعلَّموا هذه المسائل الثلاث.

قال: (وَالعَمَلُ بِهِنَّ)يعني إذا عَلِمَ الإنسان لا بد أن يعمل؛ لأن هذا كما تقدَّم ثمرة العلم.

وقول المؤلف: (أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ)يفيدك أن العلم ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم واجب على كل إنسان مكلَّف، هذا لا بد أن يتعلمه الإنسان، وهو مثل معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله ومعرفة أصول الدين ومعرفة التوحيد ومعرفة الصلاة ومعرفة الزكاة لمن عنده مال ومعرفة الحج لمن كان فيه شروط الحج وهكذا.

والضابط في ذلك أن ما طلب من الإنسان بعينه فإنَّهُ يجب أن يتعلَّم هذا العلم، كالوضوء مثلًا على كل مسلم ومسلمة.

الثاني: واجب كفائي، هذا يشمل جميع الأمة على الكفاية بحيث أنه لا بد من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون فيهم من يعلم ذلك كتعلم مثلًا الفرائِض وتعلُّم بعض المعاملات ونحو ذلك، هذه على الكفاية بحيث أن الإنسان إذا قام به سقط الطلب عن الباقيين.

ولذلك المؤلف ذكر لك الواجب العيني عليك، هذه الثلاث.

قال: **(الأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا)** يعني أولى هذه المسائل أن الله خلقنا يعني أوجدنا، فالله عز وجل هو الذي خلقنا وأوجدنا من العدم وكُنا في حيز العدم ثم أوجدنا الله عز وجل، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[ق:١٦]وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[الأعراف:١١].

فالله عز وجل خلقنا فهذا لا بد أن تتيقنه، وهذه المسألة يؤمن بها المؤمن والكافر، المؤمن يؤمن أن الله عز وجل خلقه والكافر المشرك يؤمن بأن الله عز وجل خلقه ويعتقد هذا الشيء؛ ولذلك لو سُئِلَ الكافر:

-من خلقك؟ قال: "الله".

- من الذي يحيي ويميت؟ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف:٨٧]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[لقمان:٢٥] فالمشرك يؤمن بهذا الشيء ويعتقده.

ولذلك قال المقريزي رحمه الله: "**أن توحيد الربوبية هو الذي يجتمع فيه المشرك والمؤمن، وأن توحيد الألوهية هو مفترق الطريق الذي يفترق فيه المسلم والكافر**".

قال: **(الأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا)** والخلق هنا هو الإيجاد من العدم، وذلك أن الخلق ينقسم إلى قسمين:

- الأول: إيجادٌ من العدم، وهذا لا يقدر عليه إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لا يقدر على أن يُوجِد من العدم إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:﴿**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾[فاطر:٣]فلا يخلق من العدم ويُوجِد من العدم إلا الله.

- الثاني: تحويل الشيء من شيءٍ إلى آخر، كتحويل الشجرة مثلًا إلى باب، هذا يستطيعه غير الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، هذا يُسمى في اللغة خلق ولكنه ليس إيجادًا من العدم؛ فيُسمى خلق في اللغة وليس هو إيجاد من العدم؛ أمَّا المراد هنا هو الإيجاد من العدم.

قال: **(وَرَزَقَنَا)** يعني رزقنا المطاعم والمشارب؛ فالرازق هو الله عز وجل فما من رزق تراه في الأرض من طعام أو شراب أو رزق ديني أو دنيوي فهو من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو الذي رزقنا.

قال: **(وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً)**يعني سُدى بحيث لا نُؤمَر ولا نُنهَى، فالله عز وجل ما خلق الخلق وتركهم بل خلقهم وأمرهم بأوامر ونهاهم عن نواهي، كما قال **سُبْحَانَهُ**

وَتَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ - فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[المؤمنون:١١٥-١١٦].

فالله عز وجل أوجدنا من العدم ولم يتركنا هملًا بل أمرنا بأوامر ونهانا عن نواهي؛ ولذلك انقسم الناس في إيجاد الله للخلق إلى قسمين:

- **القسم الأول**: مؤمن وهو الذي اعتقد أن الله عز وجل أوجده لحكمه؛ فاعتقد ذلك، فعَمِلَ إلى الدار الآخرة كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

فالمؤمن يعتقد أن الله عز وجل خلقه للعبادة وأنه مُحاسَب ومجازى على عمله وأنه إذا عمل بالصالحات نُعِّمَ.

وأما الكافر المشرِك فإنه ظن بالله عز وجل ظن السوء، ظن أن الله عز وجل أوجد الخلق لا لحكمة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[ص:٢٧]، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾[التغابن:٧].

فالكفار يعتقدون أن الله عز وجل خلق الخلق وتركهم، لا لحكمة، وأما المؤمن فإنه يعتقد أن الله عز وجل أوجده لحكمة عظيمة، وهي عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[ص:٢٧]فالكافر يظن أن الله عز وجل خلق السماء والأرض لغير حكمة وأمَّا المؤمن فإنه يعتقد أن الله عز وجل خلقهما

لحكمة، قال: (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً)أي أرسل إلينا رسولاً، والرسول هو مَنْ بُعِثَ برسالة بحيث أُمِرَ أن يُبلِّغ الرسالة للخلق، الله عز وجل بعث إلينا رسول.

قال: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ)يعني من أطاع الرسول كان ذلك سبب في دخوله الجنة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[النساء:٦٩]فمن أطاع الرسول فإنه سبب في أن الله عز وجل يُدخِله الجنة، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَكما في صحيح البخاري: "«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»"فمن أطاع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَكان سبب في دخوله الجنة.

قال: (وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ) يعني من عصى الرسول دخل النار؛ فإن كان المعصية شرك فهو خالد مخلَّد في النار، إذا كان عصى الرسول في الشرك بحيث أنه لم يوحِّد الله فإنه خالد مخلَّد في النار، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[الجن:٢٣]والمعصية هنا معصية الشرك، فإذا عصى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفي أمر التوحيد بحيث أنه بقى على الشرك فإنه خالد في النار.

الثاني: إذا عصى الرسول في ما هو دون الشرك من الكبائر التي لا تُخرِج الإنسان من الإسلام؛ فإن هذا تحت مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له، وإن عذَّبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أدخله الجنة بعد ما ينال شيء من العذاب.

قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾) "إن" هنا توكيد، "أرسلنا" يعني بعثنا، "إليكم" يعني معشر المكلفين، "رسولًا" يعني يُبلِّغكم الرسالة "شاهدًا عليكم" يعني على أعمالكم؛ فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشهد على أعمال الأمة يوم القيامة.

﴿عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ أي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرسل إلينا رسول كما أنه أرسل إلى فرعون رسول، وهو موسى عليه السلام أرسله إلى فرعون، قال: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ " يعني ترك فرعون أمر الرسول، ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ يعني أخذًا شديدًا بحيث أن الله عز وجل أغرقه ومن معه فأُدخِلوا نارًا، أغرقه الله عز وجل ومن معه فعُذِّبوا عذابًا شديدًا في الدنيا وفي الآخرة من أشد الناس عذابًا، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦].

ملخص هذه المسألة الأولى: أن الإنسان لا بد أن يعتقد أن الله عز وجل خلقه ورزقه، فإذا طعمت أو شربت فأعلم أنه من الله، وأيضًا اعرف وأعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما خلقك سُدى، لست في هذه الدنيا تلعب وتمرح ثم تموت وتنتهي الأمور،

ليس الأمر كذلك، بل إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلقك وأمرك بأوامر ونهاك عن نواهي، فإذا أطعت الله عز وجل كان ذلك سبب في دخولك الجنة وإذا عصيت الله عز وجل كان ذلك سبب في دخولك النار.

فهذه ما أراد المؤلف أن يوصل ذلك.

قال: **(الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ)** يعني لا يرضى هذا الشيء، "أن يُشرَك معه" أن يُشرَك معه في عبادته، يعني أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما يرضى الشرك، **والشرك في اللغة** هو النصيب، فإذا قيل: "فلان شريك فلان" يعني له نصيب معه، **وأما في الشرع** فهو أن يصرف الإنسان نوع من أنواع العبادة التي اختص الله عز وجل بها لغيره، كما لو دعا غير الله دعاء تعبد أو ذبح لغير الله أو سجد لغير الله أو غير ذلك من العبادات التي اختص الله عز وجل بها، فإذا فعلها لغيره فقد وقع في الشرك والله عز وجل ما يرضى هذاسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والعبادة هي في اللغة التذلل والخضوع، مأخوذة من قولهم: "طريق مُعبَّد" أي ذلَّلته الأقدام، فيُقال: "هذا طريق معبَّد أي قد ذللته الأقدام واطمأن، **وأما في الشرع**فهي كما قال الشيخ الإسلام ابن تيمية: "العبادةاسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضى من الأقوال الظاهرة والباطنة" هذا تعريف شيخ الإسلام.

والعبادة هي غاية الذل مع غاية الخضوع، إذا صُرِفَت لغير الله فقد وقع الشرك كما قال ابن القيم:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمن غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذُلِّ عَابِدِه هُمَا قُطْبَانِ

وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ العِبَادَةِ دائرٌ مَا دَارَ حَتَّى قامَتِ القُطْبَانِ

فإذا صرف غاية الحب وغاية الذل وغاية التعظيم لغير الله فقد وقع في الشرك، فإذا كان كذلك لغير الله فقد وقع في الشرك والله عز وجل ما يرضى هذا، والشرك تَنَقُّص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأيضًا تكذيب لله عز وجل.

الشرك تكذيب لله عز وجل؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[فصلت:٦]يعني معبودكم بحق إله واحد، فمن أشرك مع الله عز وجل غيره فإنه كذَّب هذا.

وأيضًا تكذيب لجميع الرسل من آدم إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أشرك فقد كذَّبَ جميع الرسل؛ لأن الرسل جميعًا أتوا وقالوا ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٥٩]فمن عبد مع الله عز وجل إلهًا غيره فقد كذَّب الرسل.

وأيضًا تكذيب للملائِكة، تكذيب لجميع الملائكة كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ﴾[آل عمران:١٨]الملائِكة يشهدون أنَّ لا إله إلَّا الله يعني لا معبود بحق إلا الله، فمن وقع في الشرك كذَّب جميع الملائكة.

وأيضًا تكذيب لجميع العلماء من المسلمين، من أشرك فقد كذَّبهم؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾[آل

عمران:١٨]يعني أصحاب العلم يشهدون أن لا إله إلا الله؛ فالشرك من أعظم الذنوب بل أعظم الذنوب على الإطلاق.

قال: **(أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ)** يعني أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يرضى أن يُشرَك معه غيره كائناً من كان، لا يُلبَّس عليك ويُقال لك: "هذا ولي أدعُه من دون الله أو اسأله أو أذبح له" فالله عز وجل ما يرضى هذا؛ لأن العبادة حق لله خالص، لا يجوز أن تُشرِك مع الله فيه أحد.

فالحق الخاص لله عز وجل هو العبادة، أما الأولياء والرسل والملائكة حقهم المحبة في الله والتوقير والاحترام وليس حقهم العبادة والتذلل والخضوع، التذلل والخضوع من حقوق الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لا يجوز أن يُشرَك معه غيره؛ ولذلك أهل البدع إذا قيل لهم: "لا تعبدوا غير الله" يعني لا تذبحوا لغير الله، لا تدعوا غير الله؛ قالوا: "أنتم لا تحبون الأولياء" فماذا ترد عليهم؟ تقول: "أنت تنقصت الله عز وجل وكذَّبت الرسل وكذَّبت الملائكة وكذَّبت العلماء وكذَّبت الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وتنقصت" أيضًا الأولياء؛ ولذلك الشرك جُرم عظيم.

فلا يُلبَّس عليك يُقال لك: "أنَّك إذا ما عبدت الأولياء فأنت تُبغِضهم" فهذا باطل؛ بل أنت تحبهم في الله، أحب الأولياء في الله ولكن لا تعبدهم مع الله، لا تجعلهم آلهة مع الله؛ احذر هذا.

ولذلك المؤلف قال: **(لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ)** يعني ما يجوز أن تُشرِك بالله مَلَك مُقرّب، **(وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)** يعني لا تجعل نبي مرسل شريك لله في العبادة، المؤلف ذكر لك الدليل قال: **(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾)** المساجد قيل: أنها المساجد المبنية، وقيل: أنها أعضاء السجود التي يسجد عليها الإنسان، والإنسان يسجد على سبعة أعضاء.

فالله عز وجل يأمر أن تكون هذه المساجد التي يسجد عليها الإنسان لله خالصة، والمراد أن التذلل والخضوع يكون لله وحده.

قال: **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾** اللام لام الاختصاص، **﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾** أحدًا هنا نكرة في سياق النهي فتفيد العموم يعني لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا حجر ولا شجر ولا صغير ولا كبير؛ لا تجعل مع الله إله آخر.

فالتعبد والتذلل هو لله وحده لا تصرف هذا لغير الله؛ لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** نهاك عن ذلك فقال سبحانه: **﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾** والدعاء هنا يشمل دعاء المسألة، كأن تقول مثلًا: "يا الله اغفر لي، يا الله ارحمني" فهذا لا تجعله لغير الله؛ لا تقول لميت: "يا فلان اغفر لي، يا فلان ارحمني" وأيضاً لا تقول للميت: "يا فلان ادعو الله لي، يا فلان اسأل الله لي"؛ لأن هذا شرك ولأنه إذا فعله الإنسان توجه بالعبادة لغير الله.

وأيضًا يشمل دعاء التعبد كالصلاة؛ فلا تصلي لغير الله ولا تصم لغير الله ولا تحج لغير الله، لا تحج للمشاهد والمقابر؛ بل اجعل الحج لله وحده لا شريك له؛ فالله عز وجل نهاك عن ذلك، فهذه مسألة عظيمة سيذكر المؤلف فيها تفصيل ويذكر أنواع العبادة.

قال المؤلف رحمه الله: **(الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ، لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)** ثم ذكر الدليل.

قال: **(الثَّالِثَةُ)**ذكر المؤلف رحمه الله المسألة الثالثة **(أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ)**هذا رجل أطاع الرسول وعمل بما قال **(وَوَحَّدَ اللَّهَ)** أي عبد الله وحده لا شريك له، قال: **(لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ)** المولاة هي المحبة والتولي والقرب فهذا كله من معاني المولاة، يعني لا تحب ولا تعاضِد ولا توالي من حاد الله يعني من شاقق الله عز وجل.

(وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)ولو كان هذا المحاد أقرب قريب، يعني لو كان لك أقرب قريب؛ فلا توالِيه ولا تحبه.

هذه مسألة مهمة وهي المولاة ويُعبر عنها بالولاء والبراء، ويعبر عنها بالمحبة والبغض؛ فلا بد أن توالي في الله وتعادي في الله، وتحب في الله وتبغض في الله؛ هذا من أصول العقيدة التي يجب على المسلم أن يأخذ بها؛ لأن المؤلف ذكر أنه يجب علينا ثلاث مسأل وهذه منها، هذا يتأكد على الإنسان أن يعادي من كفر بالله وأشرك به وأن

يوالي من عبد الله ووحَّده ولم يشرك به شيء وكفر بما يُعبَد من دونه؛ فلا بد أن توالي الثاني وتعادي الأول.

والولاء هو المحبة والتولي، والمولاة تنقسم إلى قسمين:

← الأول: التولِّي، بحيث يعتقد أن الشرك حق أو يرضى بالشرك أو يحب الكفار محبة لدينه ويعتقد أنهم على دين صحيح مرضي عند الله فهذا كفر وشرك، هذا كفر ورِدة عن الإسلام، إذا وقع من مسلم فإنه ردة عن الإسلام؛ لأنه تكذيب للنصوص كثيرة أخبر الله عز وجل فيها بكفر الكفار.

← الثاني: المولاة وهي التي تكون لأمور الدنيا كالتشبه بهم في اللباس أو في الشعور أو في الكلام أيضًا تهنئتهم على أعيادهم الدينية ونحو ذلك، فهذه حرام ولا يجوز.

وعلى ذلك الإنسان يجب عليه أن يكفر بما عُبِدَ من دون الله وأن يُعادي من أشرك بالله؛ يُعاديه ويعتقد أنه على باطل ويُبغِضه في الله؛ ولذلك مَنْ اعتقد أن المشركين والكفار على دين مرضي يُوصِل إلى الله عز وجل؛ فهذا ردة عن الإسلام.

وأيضًا من تولَّى الكفار وكان معهم وأراد أن يضمحل الإسلام ويظهر الكفر وينتشر. ويكون له الرفعة فهذا ردة عن الإسلام لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال:﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[المائدة:٥١]ولذلك يقول الشيخ الإسلام ابن تيمية: "**من اعتقد أن اليهود والنصارى على دين مرضي يوصل إلى الله عز وجل فهو كافر؛ لأنه**

دينٌ منسوخ، ولأنه مُبدَّل" فلا بد أن تعتقد كفر الكافر، تعتقد أن اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم على كفر وأنهم كُفَّار.

والضابط في ذلك أن من ليس على الإسلام فهو على دين الكفر، الكفر ملة واحدة، فليس هناك دين إلا دين حق وهو الإسلام ودين باطل وهو باقي الديانات كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٩] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥]فلا بد أن تعتقد أن ما سوى الإسلام فهو دين باطل كائناً من كان هذا الدين وليس هناك دين حق إلَّا الإسلام.

ولذلك جاء في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

فلا بد أن تعتقد هذه العقيدة –تعتقد كفر الكافر وشرك المشرك– مع هذا يجب عليك ألَّا تظلمهم، لا تظلم الكافر حتى لو كان على كفر، لا تظلمه؛ ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٨]فإذا كنت تعتقد أن هذا الكافر على كفر وعلى شرك وأنه مشرك فلا تظلمه؛ الظلم لا يجوز لا للمسلم ولا للكافر.

وأيضًا مع هذا يجوز أن تشتري من هذا الكافر وتبيع، وقد جاءعند أحمد«أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوُفِّيَ وَدِرْعُهُ مَرْهُوْنٌ عِنْدَ يَهُوْدِيٍّ بِوَسَقٍ مِنْ شَعِيْرٍ»وجاء في الصحيحين عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ مُشْرِكٌ مُشْعَانٌّ طَوِيلٌ بِغَنَمٍ يَسُوقُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بَيْعًا أَمْ عَطِيَّةً؟ -أَوْ قَالَ:- أَمْ هِبَةً "، قَالَ: لَا، بَلْ بَيْعٌ، فَاشْتَرَى مِنْهُ شَاةً». فهذا جائز أن تبتاع وتشتري مع المشرك فهذا جائز.

أيضًا مما يجوز لك مع الكفار والمشركين أن تدعو لهم بالهداية وتسأل الله عز وجل لهم الهداية وتسعى في أن تدعوهم إلى الله عز وجل هذا مطلوب، وقد جاءأن«الطُّفَيْلَ الدَّوْسِيَّ قدم عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَصَتْ دَوْسٌ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ».

وقد جاء أيضًا في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَدعا لأم أبي هريرة وكانت مشركة فدعا لها، بالإسلام، قال أبو هريرة: فلمَّا طرقت عليه الباب، فإذا هي تقول: "رويدك لأغتسل" ثم خرجت، فشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله.

فيجوز لك أن تدعو للكافر بالهداية وتسعى لأن تكون سبب في هدايته؛ بحيث تبين الإسلام له وتدعوه إلى الله؛ لأن هذا هو المطلوب.

وأيضًا مما يجوز مع الكفار أن تُهاديهم بشرط ألَّا يكون في قلبك محبة ورضا بما هم عليه، وأيضًا بشرط ألَّا يكون في أعيادهم الدينية، وقد جاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدي له بغْلَة بيضاءَ من مَلِكُ أيْلَةَ، وجاء في الصحيحين أَنَّ يَهُودِيَّةً أَهْدَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةً مَصْلِيَّةً بِخَيْبَرَ، شاةٌ فيها سُمٌّ فأكل منها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا إذا كان الكافر عند المسلمين له ذمة أو مستَأمَن أو مُعاهَد فلا يجوز لك أن تتعرض له، لا في ماله ولا في دمه؛ لما جاء في الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ».

فهذه من المسائل التي ليست هي من المولاة بل هي جائزة، وأيضًا إذا كان لك قريب على الكفر فلك أن تُعطيه شيء من الدنيا، تحسن إليه من أمور الدنيا، كما لو أعطيته مال أو أحسنت إليه وغير ذلك من أمور الدنيا، والدليل على ذلك أَنَّ أَسْمَاءَ، جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «إِنَّ أُمِّي جَاءَتْنِي مِنْ مَكَّةَ، وَهِيَ مُشْرِكَةٌ رَاغِبَةٌ» يعني راغبة في مال، «فَلِي أَنْ أَصِلَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَصِلِيهَا»والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:١٥]يعني اعطِهم من أمور الدنيا وأحسن إليهم ولكن لا تُطعهم على الكفر.

فالمراد أن الإنسان لا بد أن يفقه هذا الباب، والمراد هنا أن الموالاة -بحيث أن الإنسان يعتقد أن الكفار أنهم على دين حق-هذا مما يُمنَع منه الإنسان،: و الإنسان إذا رضي بالكفر واعتقد أنه دين صحيح يُوصِل إلى الله فهذا كافر.

وأيضًا إذا قاتل مع الكفار قاصدًا أن يظهر الكفر على الإسلام وأن يضمحل الإسلام ويذهب فهذا كافر وهذا فعل المنافقين، وهذه مسألة مهمة.

قال المؤلف: **(وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)** يعني لو كان هذا المحاد لله المشرك بالله المعادي لأولياء الله قريب لك فلا تحبه، بل عليك أن تُبغِضه، ثم ذكر مؤلف الدليل قال: **(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾)** اللام هنا لام النفي، والنفي أبلغ من النهي لأنها تشمل الماضي والحاضر والمستقبل يعني لا يمكن أن يوجد في الماضي من يحب من عادى الله ورسوله، ولا يوجد في الحاضر، ولا يوجد في المستقبل.

﴿لَّا تَجِدُ﴾ يعني في وقت من الاوقات، **﴿قَوْمًا﴾** قوم يعني جماعة، **﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾**يعني يؤمنون بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بأنه ربهم وخالقهم ومعبودهم الذي ليس لهم معبود سواه، واليوم الآخر هو ما بعد الموت إلى دخول أهل الجنة الجنة ودخول أهل النار النار؛ هذا كله الداخل في اليوم الآخر.

قال: ﴿يُوَادُّونَ﴾ يعني يُحبون ويتولون، ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني من شاقق الله عز وجل ورسوله، والحد هو أن يكون الإنسان في حيز مُحَاد لله ورسوله حيث يكون معادي، مشاقق، فيكون على حدة ودين الله عز وجل على حدة، فيُحاده.

قال: ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا﴾ يعني المحادين، ﴿آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعني جماعتهم وقبيلتهم الذين هم منهم ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ يعني أثبته في قلوبهم، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ يعني قوَّاهم وسددهم بروحٍ منه، وأضافهم الله عز وجل إليه إضافة تشريف.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ويدخلهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة جنات، وجنات جمع جنة؛ لأن الجنة جنان وليست جنة واحدة، وأعلاها الفردوس الأعلى كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَمِنْهُ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ﴾.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾يعني تجري تحت القصور وتحت المباني، تحت القصور التي هم فيها وتحت الخيام، وأنهار الجنة تجري بلا أخاديد، كما قال ابن القيم: "أنهارها تجري بغير أخدود سبحان ممسكها عن الفيضان" فهي تجري بغير أخاديد.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني ماكثين فيها، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ رضي الله عز وجل عنهم بما فعلوا وما صنعوا، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ يعني بما أعطاهم وأنعم عليهم، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يعني أولئك أولياء الله وأنصار الله عز وجل في

أرضه وأحباء الله عز وجل، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾يعني الذين تولاهم الله عز وجل هم المفلحون، الفائزون بالمطلوب والناجون من المرهوب.

ففي هذه الثلاثة التي ذكرها المؤلف رحمه الله فيها أنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعمل بها.

المتن

(اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ-: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ -مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ-: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾).

الشرح

قال: (اعْلَمْ) يعني اجزم، (-أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ-)يعني وفَّقك وسلك بك طريق الهداية، (-أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ-)يعني وفَّقك الله عز وجل لموافقة أمره، والطاعة هي موافقة مراد الله عز وجل الشرعي، فعلًا للمأمور وتركًا للمحظور؛ هذا يسمى طاعة.

(أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ) الحنيفية من الحَنَف، والحَنَف هو المائل عمَّا سوى الله المُقبِل على الله، وإن شئت أن تقول: "هو المائل عن الشرك، المُقبِل على التوحيد، أو العامل بالتوحيد".

(مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) يعني دين إبراهيم؛ فإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان إمام الحنفاء، كان على التوحيد الخالص عليه الصلاة والسلام، قال: (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ) يعني هذه ملَّة إبراهيم أن تعبد الله، يعني تتذلل لله حبًّا وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

(وَحْدَهُ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) يعني مخلصًا لله عز وجل التعبد بحيث لا تعبد معه غيره، (لَهُ الدِّينَ) يعني التعبد، (وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا) الله عز وجل أمر جميع الخلق من الإنس والجن بعبادة الله وحده لا شريك له وأيضًا خلقهم لهذا الشيء، فالله عز وجل ما خلق الخلق ليتكثر بهم من قلة أو ليستنصر بهم؛ بل هو الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والخلق جميعًا فقراء إليه، فمن صفات الله الذاتية الغنى، هذه صفة ذاتية لا تنفك عن الله عز وجل، ومن صفة كل مخلوق الفقر الذاتي الذي يجده في قلبه فهو يحتاج لمن يُقوِّمه.

فكل مخلوق مُحتَاج لله، مهما بلغ من الرفعة فإنه مهما كان فهو مُحتَاج لله وهو ذليل فقير إلى الله وسيأتي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبد فقير ذليل صغير، هذه صفة كل مخلوق؛ ولذلك يقول الشيخ الإسلام: "**الغنى صفةٌ له ذاته**" يعني لله "**كما أن الفقر**

صفةٌ لي ذاتي" فالفقر صفة كل مخلوق والغنى صفة الله عز وجل التي لا تنفك عنه، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ - إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ - وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[فاطر:١٥-١٧]يعني ليس ذلك على الله ممتنع، لو شاء الله عز وجل أذهب جميع الخلق وأتى بخلق آخرين؛ فهو الغني سبحانه.

(وَخَلَقَهُمْ لَهَا)يعني خلقهم للعبادة ثم ذكر الدليل قال: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾)، في هذه الآية الكريمة فيها بيان الحكمة من إيجاد الخلق: فإذا سُئِلت ما هي الحكمة من إيجاد الإنس والجن؟ فالجواب أن تقول: هي عبادة الله.

قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾، ما هنا نافية، وقوله: ﴿خَلَقْتُ﴾يعني أوجدتُ، ﴿الْجِنَّ﴾الجن عَالَمٌ غيبي خلقهم الله عز وجل لعبادته، وهم مكلَّفون، وسُمُّوا جن لأنهم لا يُرَون؛ ولذلك يُقال: "المِجَن" وهو الذي يستر الإنسان عند القتال، ويُقال: "الجنين" لأنه مستتر في بطن أمه، ويُقَال الجنة لأنها غُطِيَت بالأشجار.

قال:﴿الْجِنَّ وَالْإِنسَ﴾ والإنس هم بنو آدم، وسموا إنس من النَوَس وهو الاضطراب والحرك.

-وقيل: من الاستئناس بحيث أن الإنسان يأنس لآخر ويجلس معه ولا يحب أن ينفرد، هذه من صفات الإنسان أنه يحب أن يُجالِس غيره ويأنس به.

وقيل: من النسيان كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[طه:١١٥]لأنه ينسى.

كما قيل: وإنّما سُمِّيَ الإنسان من نسيانه وسُمِّيَ القلب من تقلبه، قلب: يتقلب فسُمِّيَ قلب، والإنسان ينسى فسُمِّيَ إنسان.

قال: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، وَإِلَّا هُنَا استثناء مفرَّغ من أعم الأحوال، والاستثناء مع النفي يفيدالاختصاص، الاختصاص لهذا الشيء، وقوله ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾اللام هنا في قوله: "يعبدون" لام الحكمة، لام العِلَّة، أو لام "كي" يعني كي يعبدون ويتوجهوا إلي بالعبادة، وليست اللام قدرية، اذ لو كانت قدرية للزَم الخلق أن يعَبَدوا الله عز وجل جميعًا بلا اختيار، ولكنها لام الحكمة؛ فالحكمة من إيجاد الإنس والجن هي عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال المؤلف: (وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ)

أعظم ما أمر الله عز وجل به هو التوحيد، وهو أول ما يُؤمَر به الإنسان عند دخوله الإسلام، أول ما يُؤمَر به التوحيد، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذ إلى اليمن: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شهادة أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»فأول ما يُؤمَر به الكافر هو شهادة أن لا إله إلا الله.

قال: (وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالعِبَادَةِ) عَرَّف التوحيد بأنه إفراد الله بالعبادة بحيث أن ما ثبت أنه عبادة فلا يجوز أن تُصرَف لغير الله؛ فالدعاء عبادة قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدعاء هو العبادة»فمن دعا ميت أو صاحب قبر أو حجر أو نبي أو مَلَك؛ فإنَّ هذا قد وقع في الشرك؛ لأنه صرف العبادة لغير الله.

أيضاً الذبح هل هو عبادة؟ نعم؛ قال الله عز وجل: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾وذبح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَوقال: «اللَّهُمَّ هَذَا مِنْكَ وَإِلَيْكَ» فإذا ذبح الإنسان لميت – أتى عند القبر ثم ذبح لهذا الميت– هل وقع في الشرك؟ الجواب: نعم؛ لأنه تعبَّد لغير الله، فأعظم ما يُؤمَر به الإنسان أن يُوحِّد الله عز وجل في تعبده بحيث يصرف العبادة لله وحده لا شريك له.

قال: (وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ)هذا أعظم الذنوب على الإطلاق، والشرك أعظم الذنوب لأمورٍ كثيرة أولًا: لأنه تنقُّص لله عز وجل، فالمشرِك متنقِّص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولذلك إذا ذكر الله عز وجل الشرك قال:﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الطور:٤٣].

وأيضًا من مفاسد الشرك أنه سبب لخلود الإنسان في النَّار، يخلد فيها أبدًا، أبد الآبدين كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢].

أيضًا من مفاسد الشرك أنه يُحبِط جميع الأعمال، فإذا أشرك الإنسان فقد حَبِطَت جميع أعماله إذا مات على الشرك، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥]فلو كان الإنسان في عبادة الله: الليل يقومه لا ينام والنهار يصومه لا يفطره ثم أشرك يومًا من الزمن فقد حبط هذا كله، إذا مات على ذلك، الشرك من أعظم الذنوب.

ومن مفاسد الشرك أن الإنسان إذا مات على الشرك لا يُصلَّى عليه ولا يُقبَر مع المسلمين ولا يرث ولا يُورَث ولا يُدعا له بالرحمة، بل يحرم أن تدعو له بالرحمة.

الشرك مفاسده عظيمة وهذه بعض مفاسده، والمراد هنا الشرك الأكبر، وذلك أن الشرك ينقسم إلى قسمين:

-الأول: شرك أكبر وهو أن يصرف شيء من أنواع العبادة التي اختص الله عز وجل بها لغيره؛ هذا شرك أكبر.

- الثاني: شرك أصغر، وهو ما ورد في النصوص تسميته شرك ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر كالحلف بغير الله، وأيضًا قول "ما شاء الله وشئت" ويسير الرياء؛ فهذا شرك أصغر ولا يصل إلى حد الشرك الأكبر ولا يُخرِج من الملة، وإن كان لهم مفاسد ولكنه دون الأول.

(وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ)دعوة غير الله عز وجل معه.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾) يعني توجهوا إلى الله عز وجل بالعبادة، عبادة الدعاء وعبادة التعبُّد، التوجه إلى الله عز وجل بأنواع العبادة سواء كان هذه العبادة مسألة أو دعاء عبادة، توجهوا لله عز وجل بذلك كله، قال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ اللام هنا نهي، و "شيئًا" نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، يعني لا تُشرِكوا بالله شرك أصغر ولا أكبر، ولا تُشرِكوا بالله في الدعاء ولا الذبح ولا غير ذلك ويشمل المُشرَك به والمُشرَك فيه.

المشرَك به يعني كما لو أشرك بالله حجر أو نبي أو ولي أو مَلَك؛ فهذا لا يجوز، هذا منهي عنه.

أو مُشرَك فيه كما لو أشرك بالله في الدعاء أو الذبح أو النذر أو غير ذلك؛ فهذا أيضًا داخل؛ فلا يجوز أن يُشرَك بالله عز وجل لا في التعبُّد ولا في المعبود بحيث يتوجه لغير الله أو يصرف نوع من العبادة لغير الله.

(المتن)

[فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]. وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[غافر:٥٧]، وقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢١-٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ-].

(الشرح)

قال: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ؟) بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا في مضمون هذه الرسالة وهي (الأُصُولُ الثلاثَةُ).

قال: **(فَإِذَا قِيلَ لَكَ)** يعني سألك سائل: **(مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ؟)** يعني ما هي الأصول الثلاثة التي يجب عليك اعتقادها ومعرفتها؟

(التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟) يعني يجب حتمًا على الإنسان معرفة هذه الأصول الثلاثة.

✍ وهذه الأصول الثلاثة هي التي يُسأل عنها الإنسان في قبره، إذا أُدخل القبر سئل عن هذه الثلاثة؛ فيقال له: مَن ربك؟ وما هو دينك؟ ومن هو نبيك؟.

وقول المؤلف: **(ما الأصول؟)**.

✍ **الأصول** جمع أصل، والأصل هو الذي يُبنى عليه غيره، هذا هو الأصل.

كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:﴿**مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[إبراهيم:٢٤]، فالأصل هو الذي يُبنى عليه غيره.

و**(الثَّلاثة)** الواجبة على العبد هي:

- معرفة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
- ومعرفة دين الإسلام.
- ومعرفة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وقوله: **(التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا)** لابد أن يعلم هذه الأصول الثلاثة بالدليل -كما تقدَّم في قول المؤلف.

ثم قال المؤلف: **(فإن قيل لك)** هنا بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يفصِّل بعد ما أجمل.

(فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟) يعني مَن الذي خلقك وأوجدك من العدَم؟ ومن هو معبودك الذي تعبدُه وتتوجه إليه بالعبادة؟

(فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ)يعني فقل لهذا السائل الذي سألك **(فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ)**.

فقل لهذا السائل: ربي الذي أوجدني من العدَم هو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **(الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ)**.

✍ **والتربية** هي التنشئة شيئًا فشيئًا.

الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي خلَق الخلق وهو ربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال: **(رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ)** والعالمين ما سوى الله كما سيأتي في قول المؤلف.

(وَهُوَ مَعْبُودِي)، **(معبودي)**أي الذي يتوجه إليه بالعبادة.

(لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ) أي لا أتوجه ولا أعتقد أنه يجوز التوجُّه لغيره، ولا أوجه لغيره، فقوله: **(لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ)** أي: لا أتوجَّه لغيره ولا أعتقد أن غير الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يستحق العبادة.

فلا بد من هذا: أن لا يتوجه الإنسان لغير الله، وأن يعتقد أن ما سوى الله لا يستحق العبادة.

قال: **(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢])**يعني الدليل على أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** هو معبودي ليس لي معبودٍ سواه وأنه هو الذي خلقني.

قال المؤلف: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ).

فذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا: الدليل على أن الإنسان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي خلقه، وأنه ليس له معبود سواه.

وربوبية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للخلق نوعان:

■الأول: ربوبية عامة لجميع الخلق:

فكل مَن سوى الله فالله عَزَّ وَجَلَّ ربه وخالقه ومالكه، وهو تحت تصرفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا يخرج عن تقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والدليل: هذه الآية الكريمة؛ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]والعالمين ما سوى الله.

■ الثاني: الربوبية الخاصة بالمؤمنين:

فهذه ربوبية خاصة؛ بحيث أن الله عَزَّ وَجَلَّ يربي المؤمن على الإيمان ويعلِّمه ويهديه ويسدّده ويرزقه رزق خاص؛ فهذه خاصة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾هذه ربوبية خاصة.

وقد جُمعت الربوبية العامة والخاصة في قوله تعالى:﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾. فأول الآية فيها الربوبية العامة؛ قال:﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثم قال:﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ هذه الربوبية الخاصة.

فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الخالق، المالك، المتصرِّف، فلابد أن يُعتقد هذا.

وقوله: **(الحمد لله)**، **(الحمدُ)** ال هنا للاستغراق؛ أي جميع المحامد لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فجميع معاني المحامد فهي خالصة لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ومختص فيها، فالذي يُحمد لذاته وصفاته هو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وحده لا شريك له.

✍ **والحمد** هو وصف المحمود بالكمال حبًّا وتعظيمًا.

🡸 **والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحمد على شيئين:**

❍ الأول: على عظيم صفاته.

❍ الثاني: على جزيل هباته.

فجميع النِّعم التي في الخلق هي من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فالله يُحمد عَزَّ وَجَلَّ على عظيم صفاته ويُحمد على جزيل هباته، بخلاف المخلوق؛ قد يُحمد على بعض الأوصاف ولا يُحمد على ذاته، أما الله عَزَّ وَجَلَّ فهو يُحمد لذاته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فالحمد له سبحانه.

وقوله: **(لله)** اللام هنا للاستحقاق، وأيضًا للاختصاص، للاستحقاق؛ أي أن الحمد الكامل من جميع الوجوه هو مستحَق لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأيضًا مختص بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لأن جميع المحامد لله وحده لا شريك له.

وقوله: **(ربّ العالمين)**.

✍ **الرَّبّ** هو الخالِق، المالِك، المتصرِّف.

الخالِق؛ كما قال سبحانه: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[الزمر:٦٢].

الثاني: المالك؛ قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾[الملك:١]فهو المالِك **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

الثالث: الذي له التصرُّف والأمر؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤].

والله عَزَّ وَجَلَّ الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

و(العالمين) ما سوى الله، وسُمُّوا عالمين؛ لأنهم علامة على خالقهم، فالخلق يتعرَّف به الإنسان على الخالق؛ بحيث أنه علامة على الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومن الدلائل على وجوده.

قال: (وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ).

ثم قال المؤلف: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟) يعني سُئلت أيضًا: كيف عرفت ربك؟ كيف ذلك؟

(فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ) ودلائل وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كثيرة:

منها: الفطرة؛ فالإنسان مفطور على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لابد؛ هذه فطرة في قلب الإنسان، يجدها؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠]فهذه فطرة يجدها الإنسان في قلبه.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في [الصحيحين] من حديث أبي هريرة: «كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ». فالإنسان مفطور على وجود الله، هذه فطرة يجدها في قلبه؛ ولذلك إذا أراد الإنسان أن يخرج من هذه الفطرة فلا يستطيع، لابد أن يبقى في قلبه شيء من هذه الفطرة.

وقد ذكروا عن ملحِد كان يؤلِّف كتاب يُدلِّل على عدم وجود الله؛ يريد أن ينفي وجود الله عَزَّ وَجَلَّ، فلما كان ليلة من الليالي انتهى من هذا الكتاب، -يقول في قصته-: فلما استطعت النوم، قالوا: لِمَ؟ قال: خفت أن الله عَزَّ وَجَلَّ يأخذني!

كيف هذا؟! أين ذهب هذا الكتاب؟! انتهى!

وقد ذكروا أيضًا عن ملحِد أنه كان في حافلة، فأرادت أن تنقلب فقال: "يا الله يا الله" وهو يُنكر وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فهذه فطرة في قلب الإنسان.

وأيضا من دلائل وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: الشرع، شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دليل على وجوده؛ فهذا القرآن الذي بُعث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَهو كهيأته من حين بُعث به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لم ينقص منه حرف ولم يزد فيه حرف؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ حفظه، وقد أخبر أنه حافظٌ للقرآن:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] فلم يُزد فيه حرف ولم يُنقص منه حرف؛ هذا دليل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأيضًا هذا الإسلام الذي انتشر في الأرض انتشار الشمس على الأرض، كيف انتشر هذا الإسلام؟ لأنه شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولأن الله عَزَّ وَجَلَّ أخبر أن هذا الإسلام سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[الصف:٨]. فهذا الدين لابد أن يتم؛؛ وهذا دليل على وجود الله عَزَّ وَجَلَّ.

وأيضًا هذه الصلوات التي تُقام وهذا الأذان الذي يؤذَّن به ويقال فيه: "أشهد أن محمدًا رسول الله" في جميع الأرض، هذا دليل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأيضًا من دلائل وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: المخلوقات؛ كالسماء، والأرض، والنجوم، والبحار، والرياح، وهذا الليل، وهذا النهار، وهذه الأرض كيف أنها تكون جرداء يابسة ثم يُنزل الله عَزَّ وَجَلَّ عليها الغيث ثم تُنبت من كل زوجٍ بهيج ثم تصفرّ ثم يذهب كأن لم تكُن! ولذلك يقول الشاعر: "**وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه واحد**"

فهذه المخلوقات دلائل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لذلك لو قال قائل: "إني وجدت سفينة في البحر تذهب وتأتي للساحل وتروح في كل يوم"، ثم سألنا هذا القائل، قلنا له: هل لها

صانع؟ قال: لا، وُجدت فجأة. قلنا: هل لها سائق؟ قال: لا؛ إنما تأتي بنفسها وترجع. هل يُصدَّق؟

ما يُصدَّق وهذا في المخلوق، فكيف بهذه السماء وهذه الأرض وهذه المخلوقات والليل والنهار وهذا الترتيب العجيب في هذه المخلوقات؛ لا الشمس تسبق القمر ولا الليل سابق النهار، وهذه المخلوقات والبشر والناس والبهائم؟! وكيف أن الله عَزَّ وَجَلَّ أعطى كل شيءٍ خلقه؟!

هل يمكن لعاقل أن يقول هذه وُجدت صدفة؟ لا؛ لابد لها من خالق موجِد، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فلذلك المخلوقات تدل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإذا تفكَّر الإنسان في المخلوقات فهو دليل يستدل به على وجود الله، كما سُئل أعرابي قيل له: بِمَ عرفت ربك؟ يعني كيف عرفت ربك؟ قال: سبحان الله! سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ونحو ذلك، ألا تدل على السميع القريب؟-أو نحو ذلك- ولذلك قال قبل ذلك: أليس البعرة يدل على البعير؟ يعني إذا رأى الإنسان بعرة، أليس البعير قريب من هنا؟

وقال: والأثر يدل على المسير؟ قيل له: بلى! قال: فسبحان الله! سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحارذات أمواج، ألا تدل على العزيز الحكيم؟ فالجواب: بلى!

أيضًا من دلائل وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: الحِسّ؛ بحيث أن الإنسان يحسّ هذا الشيء؛ فمثلًا: الإنسان يكون مريض، فيدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: "اللّهم اشفني من هذا المرض" فيُشفى، مَن الذي أشفاه؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأيضًا يكون الإنسان في كُربة في البحر أو في مضيق، فيسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بقلبٍ صادق، ويتوجَّه إلى الله أن يُخلص فينجيه الله عَزَّ وَجَلَّ من هذه الكربة، أليس هذا دليل على وجود الله؟ بلى!

فالحِسّ؛ الإنسان يدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيُجاب، وكثير حصل هذا؛ فهذا من دلائل وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال المؤلف: (فَقُلْ: بِآيَاتِهِ) يعني آياته الكونية، وآياته الشرعية أيضًا.

(وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَ).

ثم ذكر الدليل رَحِمَهُ اللَّهُ، والسماوات سبع وهو ثابت في القرآن الكريم، وأما الأرَضين فهي أيضًا سبع، وهي ثبتت في السُنَّة، وثبت أيضًا مفهوم ذلك في القرآن؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[الطلاق:١٢]يعني مثلهُنّ في العدد ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق:١٢].

وجاء في [الصحيح] من حديث عائشة: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ».

قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ [فصلت: ٣٧])، (مِن) هنا للتبعيض؛ أي: بعض آيات الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾يعني: علامات قدرته، وعلامات وجوده، وعلامات أنه خالق لها.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾الليل معروف، والنهار وهو معروف أيضًا.

﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾والشمس معروفة، والقمر معروف أيضًا.

ثم قال:﴿لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ﴾(لا)هنا نهي، فإذا بلَغت -يعني الشمس والقمر- عندكم المبلغ العظيم فلا تسجدوا لها؛ لأنها هي مخلوقة مثلكم، فاسجدوا للذي خلقهن.

قال:﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يعني إن كنتم تتوجهون إليه بالعبادة.

ففيه أن مخلوقات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، دالة على وجوده.

ثم قال المؤلف: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ﴾ [الأعراف: ٥٤]). (إنَّ) هنا للتوكيد.

﴿ربكم﴾ أي: خالقكم، ورازقكم، وموجدكم من العدَم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾، (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ) يعني: أوجدها من العدَم، وكانت السماوات عدَم فأوجدها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقدرته.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾(وَالأَرْضَ) هي التي يستقر عليها العباد من الإنس والجن والبهائم.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾يعني: في ستة أيام.

وهل هذه الأيام كأيامنا أو أيام من أيام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

فيه خلاف:

قال ابن عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه: "أنها ستة آلاف سنة". اليوم بألف سنة مما نعُد، وهو اختيار الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: أنها ستة آلاف سنة.

وقيل: "أنها كأيامنا هذه". والله أعلم!

لكن السماوات والأرض خلَقها الله عَزَّ وَجَلَّ في ستة أيام، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قادر على أن يقول كُن فيكون، لو شاء لخلق السماوات والأرض في لحظة، ولكن هذا مِن حكمة الله؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكيم في فعله.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، (استوى) يعني: علا وارتفع.

واستوى معناها علا على العرش عُلُوّ يليق بجلاله، لا نعرف كيف ذلك، ولكن نُثبت المعنى، فهو معناه: علوّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على العرش، وهذا علوّ خاص، خلافًا لما يقول بعض المبتدعة: أنه استولى! قالوا: أن استوى بمعنى استولى!

وهذا باطل ليس بصحيح؛ لأن العلوّ في اللغة معناه: الارتفاع والصعود والارتفاع على الشيء، هذا معناه في اللغة، أما (استوى) بمعنى استولى؛ هذا لا يُعرف في لغة العرب، والله عَزَّ وَجَلَّ خاطب العرب بلغتهم، وفي لغة العرب ما يُعرف (استوى) بمعنى استولى، ما يُعرف.

و(استوى) لها عند السلف أربع معاني: عَلَا، وَارْتَفَعْ، وَاسْتَقَرْ، وَصَعِدْ.

كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلَهُم عباراتٍ عليها أربع ... قد حُصِّلت للفارسِ الطَّعانِ

وهي استقر وقد علَا وكذلك ار ... تفع الذي ما فيه من نكرانِ

وكذاك قد صعد الذي هو أربع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني

يختار هذا القول في تفسيره ... درى من الجهمي بالقرآنِ

فالسلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ لهم أربع عبارات -و(استوى) أتى في اللغة مُقيَّد ومطلق ونحو ذلك، وقد أتى استوى مطلق بنفسه (استوى) فقط-:

■ فإذا أُطلق فمعناه: كَمُل؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾[القصص:١٤]يعني كَمُل. ومنه قول الناس: "استوى الطعام" يعني: كَمُل.

■الثاني: إذا قُيِّد بِـ "عَلَى"، فمعناه: الارتفاع والعُلوّ على الشيء والصعود عليه.

■ الثالث: إذا أتى (استوى) مقيَّد بالواو، فمعناه: التساوي؛ كما يقال في اللغة: "استوى الماء والخشب" يعني: تساويا.

■ الرابع: أن يأتي (استوى) ويقيَّد بِـ "إلَى".

فظاهر-والله أعلم-: أنه بمعنى "علَى"؛ أيضا كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ يعني: علَا عليها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وارتفع عُلوّ وارتفاع يليق بجلاله.

وأما قول أهل البدع أو قول بعض المبتدعة أن استوى بمعنى استولى، فهذا باطل كما تقدَّم، وهذا القول يترتب عليه أمور -إذا قيل أن استوى بمعنى استولى يترتب عليه أمور-:

■ أولًا: أنه يخالف إجماع الصحابة وإجماع التابعين وتابعيهم، فيكون مخالف للسلف عامةً، فما فيه أحد من السلف قال أن (استوى) بمعنى استولى، يكون مخالف للسلف عامةً.

■ أيضًا: يكون قد وقع في الكذب على لغة العرب؛ لأن في لغة العرب لا يُعرَف (استَوَى) بمعنى استَولَى؛ هذا لا يوجد في لغة العرب؛ ولذلك أئمة اللغة أنكروا هذا المعنى.

■ ويترتّب عليه أيضًا: أنه إذا قال: (استَوَى) بمعنى استَولَى، يترتّب عليه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له منازع-عياذًا بالله من ذلك- يترتّب عليه أن الله عَزَّ وَجَلَّ له منازع؛ ولذلك لا يُقال "اسْتَوَى" عَلَى الشَّيْءِ إِلَّا بعد المنازعة، هذا يترتّب عليه أن الله عَزَّ وَجَلّ ما استولى على العرش إلا بعد المنازعة، عياذًا بالله من ذلك!

■ وأيضًا إذا قيل أن (استوى) بمعنى استولى يترتب عليه–والاستيلاء هو المُلك–: أن الله عَزَّ وَجَلَّ مستوي على كل شيء؛ مستوي على الأرض، ومستوي على السماء، ومستوي على الملائكة، ومستوي على البشر، ومستوي على البحار؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ مالك لهذا كله.

فإذا قيل (استوى) بمعنى استولى يعني مَلَك، فيكون الله عَزَّ وَجَلَّ بالمعنى هذا أنه مستوٍ على كل شيء، على الأرض وعلى السماء، فهذا معنى باطل!

فهذا مما يترتب على هذا القول، **والصحيح**: أن (استوى) بمعنى علَا.

قال:﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، و(العرش) هو سرير الملك، السرير العظيم الذي استوى عليه الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو سرير له قوائم، وهو كالقبة على العالم، وهو أكبر المخلوقات!

قال سبحانه:﴿يُغْشِي اللَّيْلَ﴾يعني: يُغطي.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾بحيث أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يغطي النهار بالليل فيُظلم.

﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾يعني سريع؛ بحيث أنه لا يخرج النهار إلا وقد دخل الليل.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾يعني: مذلَّلات تجري بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا شيء من هذه المخلوقات يخالف أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فكل المخلوقات مطيعة لله.

ثم قال:﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ﴾يعني المخلوقات مُلك لله وراجعة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَالأَمْرُ﴾(الأمر) يعني أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أمره؛ فله الأمر الشرعي والكوني.

﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(تبارك) يعني: تعاظَم وكثُر خيره سبحانه، (رَبُّ الْعَالَمِينَ) يعني: رب المخلوقات، خالقهم.

ثم قال المؤلف: (وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ)**الرَّب** يُطلق في اللغة على المعبود كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، **والدليل على ذلك**: أن الإنسان إذا وُضع في قبره قيل له: مَن ربك؟ يعني: مَن معبودك؟ والدليل: أن الكافر يقول: "ربي الله" في الدنيا،! الكافر المشرِك لو سألته: مَن ربك؟ قال: الله، ولكنه يعبُد مع الله غيره.

✍ **فالرَّب** في اللغة قد يراد به: المعبود.

ولذلك قال: (وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١]).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) يقول عبد الرحمن بن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: أن هذا أول نداء في القرآن، أول نداء في القرآن هو الأمر بعبادة الله والابتعاد عن الشرك.

وهذا نداء للناس عامةً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾أي: توجهوا له بالعبادة وذلُّوا واخضعوا له.

﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾يعني: الذي أوْجدكم من العدَم، وهذه صفة كاشفة لتنبيه الإنسان: أن الله كونه خلقك توجَّه إليه بالعبادة.

✍ولذلك يقول العلماء: أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فإذا اعتقدت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي خلقك وهو الذي أوجدك وهو الذي يُمدّك بالنِّعم فلا تتوجه لغيره بالعبادة؛ لأنك كيف تعتقد أنه خالقك وتعبد غيره؟! هذا ضلال!

ولذلك قال:﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾يعني من الأمم الماضية.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ يعني: تتَّقون الشرك وتؤمنون بالله وحده لا شريك له.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾[البقرة: ٢٢]يعني جعلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كالفراش الممهود؛ بحيث كالوطاء يستطيع الإنسان يمشي عليها.

﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾يعني جعلها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سقفًا مرفوع.

✍ **والسَّماء** لها جُرم، وليست هواء كما قال، بعض الناس هذا غير صحيح؛ بل السماء جُرم ولها أبواب وتُفتَّح الأبواب.

ولذلك لما عُرج بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطرق جبريل عليهِ السَّلام أبواب السماء، ثم يقال له: مَن؟ فيقول: جبريل. هذا دليل على أن لها أبواب، ثم فُتح لهم، فالسماء لها أبواب ولها جُرم.

قال:﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾(السَّماء) هنا يعني: السحاب؛ لأن كل ما علاك فهو سماء.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ﴾يعني بسببه، بسبب الماء؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ أخرج بهذا الماء أنواع الثمرات.

قال:﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾يعني: لا تجعلوا لله نُظراء فتتوجهون لهم بالعبادة.

✍ **والنِّدّ** هو النظير.

والخلق ما قالوا أن غير الله يخلق ويرزق كخلق الله؛ وإنما أحبُّوا غير الله كحب الله وتوجهوا لهم بالعبادة والتذلل والخضوع، أما في الخلق والرزق؛ يقولون: الله عَزَّ وَجَلَّ هو الرازق وحده لا شريك له!

ولذلك الكفار في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لو سُئلوا: مَن الذي خلقكم؟ لقالوا: الله، ولو قيل لهم: مَن الذي يحيي ويميت؟ ليقولون: هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! والآيات في ذلك كثيرة،

ولكنهم يشركون في توحيد الله، يشركون بالتعبُّد لغير الله؛ بحيث أنهم يذلُّون ويخضعون لغير الله كما يذلُّون ويخضعون لله، فوقعوا في الشرك.

قال:﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني تعلمون أنه الذي خلقكم وأنه الذي أوْجدكم، فإذا علمتم ذلك فتوجهوا له بالعبادة.

ثم قال: (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ-).

معنى كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أن الموجِد لهذه الأشياء هو الذي يستحق العبادة، فإذا اعتقدت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت ونحو ذلك، فاعتَقِد أنه المستحِق للعبادة، فتوجَّه له بالعبادة، لا تتوجه لغيره.

(المتن)

[وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: ١٨]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلاهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخّ الْعِبَادَة». وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]].

(الشرح)

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ)**المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ سيبدأ يذكر الآن أنواع بعض العبادات.

والعبادة لها معنيان:

- الأول: التعبُّد:

وهو فعل العابد، وهو الذل لله عَزَّ وَجَلَّ حبًّا وتعظيمًا، الذل لله عَزَّ وَجَلَّه و التعبُّد لله عَزَّ وَجَلَّ بفعل أوامره واجتناب نواهيه حبًّا وتعظيمًا.

- الثاني: المتعبَّد به:

وهو اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الظاهرة والباطنة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

والعبادة تنقسم إلى قسمين:

- **الأول: عبادة كونية:**

عامة لجميع الخلق؛ المؤمن والكافر، البر والفاجر؛ فجميع الخلق الإنس والجن، الملائكة وباقي المخلوقات، فكلها عبيد لله بهذا المعنى، فكل الخلق بهذا المعنى عبيد لله.

ومعنى هذه العبادة: أي أن جميع الخلق مقهورون لله؛ بحيث أن أوامر الله عَزَّ وَجَلَّ الكونية تجري فيهم، لا يخرج أحد من الخلق عن هذه العبادة، **والدليل على ذلك**: قوله تعالى:﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾[مريم:٩٣-٩٥]فهذه ما يخرج عنها أحد.

فالمخلوق مهما أراد أن يخرج عن هذه العبادة فلن يخرج، وسيبقى عبد يجري عليه أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكوني.

■ **القسم الثاني: العبادة الشرعية:**

الاختيارية؛ التي يكون للمخلوق فيها اختيار، وهذه خاصة بالمؤمنين، أو بمن تعبَّد لله عَزَّ وَجَلَّ باختياره؛ **والدليل على ذلك**: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[الفرقان:٦٣]هذه العبادة لا يدخل فيها الكافر ولا المشرك؛ بل هي خاصة بمن تعبَّد لله عَزَّ وَجَلَّ، وهذه اختيارية؛ بحيث أن الإنسان أو المخلوق له اختيار في ذلك، يختار.

←ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنواع العبادات؛ قال: **(الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ)**.

الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بعبادات، قال: **(وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ)**الله عَزَّ وَجَلَّ تعبَّد الخلق بالإسلام، وتعبَّد الخلق بالإيمان، وتعبَّد الخلق بالإحسان.

قال: **(ومنهُ: الدُّعاء)** والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا ذكر إجمال العبادات، ثم سيأتي التفصيل.

قال: **(وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا)**.

هذا ضابط ذكره رحمه الله بعد الإجمال قال: أنها أمر الله عَزَّ وَجَلَّ به فهو عبادة، هذا ضابط؛ إذا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بشيء فهو عبادة.

✍ ولذلك بعض العلماء عرَّف العبادة: فقال هي ما أُمر به شرعًا من غير اضطراد عُرفي ولا اقتضاء عقلي.

فإذا أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بشيء فهو عبادة، فإذا رأيت أن الله عَزَّ وَجَلَّ أمرك بشيء فاعرف أنه عبادة؛ ولذلك المؤلف ذكر هذه العبادات؛ وقال: **(كُلُّهَا للهِ تَعَالَى) فالضابط في ذلك**: أن ما ثبت أنه عبادة فلا يجوز أن يُشرك مع الله فيه غيره.

قال: **(والدَّليل)** الدليل على أن العبادة لله.

قال: **(وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: ١٨])**، **(وأَنَّ)** أن هنا للتوكيد.

(الْمَسَاجِدَ):

قيل: هي المساجد المبنية التي يُأد فيها الصلوات.

وقيل: هي المساجد التي يسجد عليها الإنسان، وهي: اليدين، والجبهة مع الأنف، والقدمين؛ فهذه لله، لا يُسجدبها لغيره.

وأيضًا المساجد المبنية لا يُدعى فيها غير الله، لا يوضع فيها قبر فيُتوجه له بالعبادة؛ بل تكون المساجد خالية من القبور، فتكون لله خالصة.

قال:﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ واللام لام الاختصاص، قال: **(فَلَا تَدْعُوا)** هنا نهي، **(فَلَا تَدْعُوا)** الدعاء هنا يشمل: دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾و**(أحدًا)** هنا نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، فيشمل أي شيء، لا تدعوا مع الله حجر ولا شجر ولا نبي ولا ملَك ولا وليّ ولا غير ذلك؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ نهى؛ قال:﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

والعلَّة في ذلك: أن الذُلّ والخضوع وغاية الذل وغاية الخضوع هو مما يجب أن يصرفه الإنسان لله وحده لا شريك له، فإذا صرف -غاية الذل وغاية الخضوع- لغير الله فقد وقع في الشرك بغض النظر عن المصروف له، حتى لو كان من أفضل خلق الله؛ لو صرف له هذا الذل وهذا الخضوع وقع في الشرك وكان سبب في خلوده في النار.

لو أشرك مع الله أحبّ خلق الله إليه فإنه يكون من أعدى أعداء الله، **هذا الضابط**. **والعلَّة في ذلك:** أن التعبُّد هو من خصائص الله؛ فالله عَزَّ وَجَلَّ ما خلق الخلق ليعبدوا غيره أو ليُشركوا معه غيره؛ إنما خلق الخلق ليذلّوا له وحده ويتوجهوا له بالعبادة؛ ولذلك نهى الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُشرك معه غيره.

قال: **(فَمَن صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ)**، **(مَن صَرَف)** يعني: صرَف هذه العبادة، وسواء كان المصروف كثيرًا أم قليلًا، لو سجَد سجدة لصنم فقد حَبِط ما عمله لله، ولو دعا صاحب قبر سنين طويلة فقد حبط، وقد يعظُم الشرك وقد يقل، لكن إذا وقع الشرك -سواء قلّ أم كثُر- فهو من أسباب حبوط جميع الأعمال ومن أسباب الخلود في النار، وكل ما زاد في الشرك زاد العذاب.

✍ولذلك قال: **(فَمَن صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ الله فهو مشركٌ كافر)** والمشرك كافر، وقد يكون الكافر غير مشرك.

هنا فائدة ما هو الفرق بين الشرك والكفر؟

الكفر أعَمّ من وجه، أو يقال: أن الكفر والشرك بينهما فرق من حيث اللغة ومن حيث المعنى:

أما من حيث اللغة:

- فالشرك هو النصيب؛ فمن جعل لغير الله نصيب فقد وقع في الشرك.

- وأما الكفر فهو في اللغة التغطية، مأخوذ من الكافورًا، وهو وعاء طلع النخل؛ لأنه يغطي ما فيه، وأيضًا يقال للزرَّاع: كفَّار؛ أي أنهم يغطُّون البذر في الأرض، وليس كفار يعني خارجون من الدين، لا؛ إنما هم يغطون الزرع-كفَّار في اللغة يعني- يغطُّون الحب في الأرض؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾[الفتح:٢٩]يعني الزراع.

فالكُفر في اللغة هو التغطية.

يقول مثلًا: "كفَرْت الزرع" يعني غطَّيته في الأرض.

وأما في الشرك:

- فالشرك هو أن يجعل مع الله إله غيره، بحيث يصرف له نوع من العبادة أو يصرف له العبادة، فهذا مشرِك.

- وأما الكفر فهو أعمّ من هذا الوجه، فيقال للمشرك: كافر؛ لأنه جحد حق الله عَزَّ وَجَلَّ.

وأيضًا قد يدخل في الكفر مَن ليس بمشرِك؛ كمن جحَد شيء معلوم من الدين بالضرورة؛ قال: "الصلاة غير واجبة، الصلاة ليست بواجبة؛ بل إن شاء الإنسان صلى وإن شاء ترك" فهذا كافر، إذا كان مثله لا يجهل فهذا كافر.

وأيضًا من قال: "الخمر حلال، يجوز أن تشرب الخمر إن شئت" ويقرأ القرآن، يعني مثله ما يجهل، مثل هذا الشخص ما يجهل، فهذا يسمى كافر مع أنه ما أشرك.

وأيضًا مَن ترك الصلاة بالكلية؛ بحيث ما يصلي نهائيًّا، فهذا كافر.

وبعض العلماء ما يفرِّق، يقول: لأن الذي يترك الصلاة أشرك، أشرك من حيث أنه قدَّم هواه على عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولكن الأقرب أن بينهما فرق والله أعلم.

قال: **(وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلاهاً آخَرَ﴾ [المؤمنون: ١١٧])** **(مَن)** هنا شرطية، **(وَمَن يدعُ)** وفعل الشرط **﴿يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلاهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ﴾** هذا جواب الشرط.

قال:**﴿وَمَن يَدْعُ﴾**يعني يتوجَّه بالعبادة.

﴿مَعَ اللَّهِ إِلاهاً آخَرَ﴾ بحيث يذلّلغير الله.

﴿لاَ بُرْهَانَ لَهُ﴾ يعني لا دليل له، وهذه الصفة كاشفة؛ لأنه لا يمكن أن يوجد إله للإنسان له فيه دليل، لا يوجد، الإله الحق هو الله وحده لا شريك له.

وعلى هذا: هل يوجد إله غير الله؟!

أما من حيث الألوهية الحق: فلا يوجد إله حق إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأما ما سوى الله فهو لا يستحق العبادة وليس بإله، وليس فيه إلا التسمية؛ كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾**، **﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾**لا يوجدإله حق إلَّا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ما يوجد في الوجود إله معبود بحق إلَّا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وأما من حيث وجود الأله الباطلة؛ فقد عُبد غير الله عَزَّ وَجَلَّ آلهة كثيرة، يعني توجَّه بعض المخلوقات لغير الله بالعبادة فسموها آلهة مع أنها باطلة.

فهناك مَن تعبَّد لغير الله وتذلَّل له وجعله آلهة وسماه إله، وكل هذا باطل؛ كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**[هود:١٠١]فهم عبدوا غير الله وتوجهوا لها بالعبادة، ولكنها باطلة.

قال:﴿إِلاهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧]يعني: أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يجازيه.

﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يعني: لا ينجو ولا يفوز بالمطلوب الكافرون، فدلَّ على أن مَن أشرك مع الله غيره فهو كافر.

ثم قال: (وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخّ الْعِبَادَة»). هذا الحديث حديث النعمان بن بشير عند الترمذي، وفيه ابن لهيعة وهو فيه ضعف، والأصح منه ما جاء عند الترمذي وصححه من حديث النعمان بن بشير: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَة».

فقوله: (وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخّ الْعِبَادَة»). يعني: لُبّ العبادة وخالصها، فدلَّ على أن الدعاء هو أعلى العبادة.

قال: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]).

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾يعني: توجهوا لي بالعبادة.

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ يعني: أُجيبكم.

وهنا فُسِّر(ادْعُونِي) أي: اسألوني، (أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يعني: أُعطيكم.

وفُسِّر (ادْعُونِي) يعني: اُعبدوني، (أَسْتَجِبْ لَكُمْ) يعني: أثيبكم.

والمعنيان لا يتنافيان؛ فهما داخلان في معنى الآية.

قال:﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ يعني: يتكبَّرون، يأنفون عن عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحيث لا يدعون الله ولا يسألونه، أو لا يتذلَّلون ولا يخضعون له.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ السين تدل على القرب، على قرب الوقوع وعلى تحقُّق الشيء القريب.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ﴾، (جهنَّم) هي النار، وسميت (جهنَّم) من الجُهمة؛ لأنها بعيدة القعر ولأنها مظلمة.

(دَاخِرِينَ) يعني: صاغرين، ذليلين، حقيرين.

فمن تكبَّر على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولم يتوجه له بالعبادة وأَنِف من عبادة فسيدخل جهنم وهو ذليل صاغر، فالمخلوق إذا ذلّ لله وخضع رفعه الله عَزَّ وَجَلَّ، وإذا تكبَّر واستأنف عن عبادة الله أذلّه الله، حتى أنه يصبح من أذلّال المخلوقات.

ولذلك الإنسان كلما تكبَّر واستأنف عن عبادة الله كلما ذلّ وصغُر وصار من أحقر المخلوقات، وإذا ذلّ وخضع لله واستكان كان من أعزّ المخلوقات عند الله عَزَّ وَجَلَّ ورفعه الله عَزَّ وَجَلَّ وأحسَن إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قال: [وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاصَالِحا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا﴾ [الكهف: ١١٠].

ودَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبا وَرَهَبا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ...﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...﴾ الآية [الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢] وَمِنَ السُّنَّةِ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْما كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرا﴾ [الإنسان: ٧]].

(الشرح)

قال المؤلف رحمه الله: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ)، المؤلف رحمه الله ذكر هذه العبادات إجمالًا، ثم أتى بدليل كل عبادة، وهذا منهج الشيخ محمد بن عبد الرهاب رحمه الله: أنه رحمه الله يأتي بالمسألة ويقرنها بالدليل، وهذا فيه فائدة للمتلقي؛ حتى يكون مطمئن القلب، وحتى يكون الإنسان له عذر إذا اتَّبع قول المؤلف لأنه له عذر في ذلك، المؤلف أتى بالدليل حتى يكون معذور، وتكون أنت معذور في اتّباعه؛ لأنه ذكر لك الدليل.

➢ وهذا من أفضل ما يكون لطالب العلم: أن يذكر المسألة ويقرنها بالدليل؛ **لأن فيه فوائد**:

■ **الفائدة الأولى**: أن الإنسان يكون معذور عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن هذا ما بلغه من العلم.

■ **وأيضًا**: ليكون المتلقي مطمئن القلب؛ لأنك إذا قلت القول وقرنته بالدليل اطمئن.

■ **وأيضًا**: ليكون المتلقي له عذر في اتّباعك؛ لأنك قلت: الشيء بالدليل.

قال المؤلف رحمه الله: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ).

✍ **الدَّليل** هو الموصل إلى المطلوب، هذا يسمى دليل، يعني الموصل إلى المطلوب.

قال: (الْخَوْفِ).

✍ **الخوف** هو اضطراب القلب من توقُّع حصول مكروه.

هكذا عُرِّف، وإن كانت هذه المعاني القلبية لا يمكن أن تُحصر، وإنما هذه التعاريف تقريب للمعنى؛ لأن المعاني القلبية ليست أمر محسوس حتى تُحدد.

قال: (الخوف) والخوف عبادة، **والخوف ينقسم إلى ثلاثة أقسام**:

■ **الأول: خوف التعبُّد:**

وهو المقترِن بكامل الحب وكامل التعظيم، ويكون في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، فهذا عبادة وصرفه لغير الله شرك.

■ **الثاني: الخوف المحرَّم:**

وهو أن يخاف من مخلوق بترك عبادة أو فعل محرَّم، فيترك العبادة خوفًا من المخلوق، أو يفعل المحرَّم خوفًا من المخلوق، فهذا محرَّم.

■ **الثالث: الخوف الطبيعي:**

الخوف الطبيعي الذي طَبَع الله عز وجل عليه المخلوق، طبَعَ هذا الإنسان على هذا الشيء بحيث أنه يخاف، لا حيلة له في الخوف، وهذا الخوف لا ينقص الإيمان، وهو خوف طبيعي جائز للإنسان أن يخاف منه؛ كالخوف من السباع، والخوف من النار، والخوف من ذوات السموم، والخوف من الظالم القادر على أن يوقع فيه شيء، هذا خوف طبيعي.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:٢١] وهذا موسى عليه السلام وهو نبي من أنبياء الله، بل من أولي العزم، وهذا الخوف طبيعي؛ بحيث أن الإنسان لا يُلام عليه؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طَبَع الإنسان على الخوف من هذه الأشياء.

فالخوف الذي هو من العبادة: هو أن يخاف خوف مقترن بكامل الذل وكامل الحبّ، وفي أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله؛ كمن خاف من ميت أن يوقع به مرض، أو خاف من حي أن يُدخله النار، أو خاف من مخلوق في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله فقد وقع في الشرك الأكبر؛ لأن هذا الخوف عبادة وصرفه لغير الله الشرك، **فالضابط في ذلك**: أن يخاف غير الله في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله ويكون مقترن بكامل الحب وكامل التعظيم.

فمثلًا: خاف من ميت خاف أن يوقِع به مرض، فهذا نوع من الشرك، بل نوع من الشرك الأكبر؛ لأن الخوف عبادة، والمؤلف رحمه الله ذكر الدليل على ذلك.

قال المؤلف رحمه الله: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلا تَخَافُوهُم﴾[آل عمران:١٧٥]) هذا نهي من الله عز وجل أن يخاف المؤمنون أعداءهم.

قال: ﴿وَخَافُونِ﴾ يعني توجهوا إليّ بالخوف، وهذا دليل على أن الخوف عبادة؛ وذلك أن الله عز وجل أمر به، وما أمر الله به فهو عبادة.

قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾فجعل الخوف من الله عز وجل شرط للإيمان، ولكن إذا خلى قلبه من الخوف من الله عز وجل بالكلية بحيث أنه لا يخاف الله مطلقًا، يخلو قلبه من خوف الله ويخاف غير الله عز وجل، فهذا ليس بمؤمن بالكلية، وإذا كان يخاف غير الله عز وجل الخوف المحرَّم؛ فهذا ناقص الإيمان.

فلابد أن يُفرد المسلم ربه بالخوف

قال: **(ودليل الرجاء)**.

الرجاء هو تمني حصول قريب المنال مستقبل أو بعيد المنال، أو يقال: هو تمني حصول شيء مستقبل قريب أو بعيد، هذا يسمى رجاء.

والرجاء ينقسم إلى قسمين:

■ الأول: رجاء مقترن بكامل الحب وكامل التعظيم في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله:

فهذا من أعظم العبادات وصرفه لغير الله شرك، فمن تمنى من مخلوق أمر لا يقدر عليه إلا الله؛ فهذا مشرك، فمن رجى من مخلوق أن يدخله الجنة أو ينجيه من النار أو يشفيه من مرضه أو يرجو أصحاب القبور -الأموات- يرجو منهم أمر، فهذا قد وقع في الشرك؛ لأن هذا النوع من الرجاء عبادة.

■ الثاني: رجاء لمخلوقٍ فيما يقدر عليه:

من باب الأسباب، فهذا جائز؛ كما لو رجى الإنسان من مخلوق أن يأتيه بماءٍ، وهذا المخلوق قريب منه عنده ويقدر، هذا جائز، أو رجى من هذا المخلوق أن يقيم عنده الليلة وهو موجود عنده، يقول: أرجو أن تبقى عندي الليلة. هذا جائز، ولا يكون في القلب التفات لهذا المخلوق.

ورجاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يكون محمود، يرجو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويكون محمود؛ وهو أن يقترِن بعمل؛ بحيث أن يؤدي الطاعات ويترك المعاصي، ويرجو أن الله عز وجل يُدخله الجنة وينجيه من النار، فهذا محمود؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي». فإذا كان مقترن بعمل فهذا محمود.

الثاني: أن يكون رجاء خالي من العمل، أو مقترن بفعل معصية؛ فهذا مذموم، وهذا من الغرور وليس رجاء؛ كما لو كان الإنسان يفعل الكبائر والموبقات ثم يرجو من الله أن يدخله الجنة وينجيه من النار، أو يرجو من الله أن يثيبه، فهذا مذموم، وهذه طريقة أهل الإرجاء الذين يقولون: "لا يضرّ مع الإمام ذنب" بحيث أن الإنسان إذا آمن بالله فلا يضره أي ذنب.

فالرجاء المذموم أن يفعل الإنسان المعصية ويترك الطاعة ويرجو أن يثاب وأن يُغفر له، هذا مذموم.

ولذلك لا بد على الإنسان أن يكون خائف

قال المؤلف: (وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو﴾ [الكهف: ١١٠]):

(مَن) هنا شرطية، ﴿كَانَ يَرْجُو﴾ الرجاء المتضمِّن للخضوع والذل.

﴿يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾يعني المصير إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو رؤية وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو خوف الله عز وجل، ﴿يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾يعني يخاف لقاء ربه، أو يُؤمِّل لقاء الله عز وجل وأن ينظر إلى وجهه الكريم.

قال: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاصَالِحا﴾هذا فعل الشرط، قال: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاصَالِحا﴾ الراجي لله عليه أن يعمل عملًا صالحًا، **وهذا فيه**: أن الرجاء المحمود هو المقترِن بعمل، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاصَالِحا﴾والعمل الصالح هو الذي يكون الإنسان فيه مخلصًا لله متَّبعًا لرسول الله، هذا هو

العمل الصالح؛ بحيث أن الإنسان يُخلص العمل لله ويتَّبع محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، فهذا هو العمل الصالح.

قال: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاصَالِحا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا﴾ [الكهف: ١١٠]وهنا اللام نفي، ﴿وَلاَ يُشْرِكْ﴾يعني لا يُخلط تعبّده لله عز وجل بعبادة غيره، لا يعبد مع الله غيره.

﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا﴾، و (أحدًا) نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، يعني لا يعبد مع الله أحد، لا ملَك، ولا نبي، ولا رسول، ولا ولي، ولا صغير، ولا كبير، فلا يُشرك مع الله عز وجل أحدًا.

قال المؤلف رحمه الله: (ودَلِيلُ التَّوَكُلِ).

التَّوَكُلِ:

لغةً: هو التفويض.

وأما شرعًا: فهو صدق الاعتماد على الله عز وجل في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي شرعها الله عز وجل.

فهو صِدق الاعتماد على الله، بحيث يكون صادق في اعتماده على الله في جلب هذه المنافع ودفع المضار، وأيضًا يعمل بالأسباب التي شرعها الله عز وجل.

والتوكل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول: هو التوكُّل المطلق:**

بحيث أنه يفوِّض أمره مطلقًا، يعتمد على المفوَّض إليه اعتمادًا مطلق مع كامل الذل والمحبة، ومع اعتقاد أن المفوَّض إليه على كل شيءٍ قدير، فهذا من أعظم العبادات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصرفه لغيره شرك.

■**الثاني: الاعتماد بالقلب على سببٍ مشروع:**

كالاعتماد على رجلٍ في رزقه أو في معاشه، أو الاعتماد على سبب جعله الله عز وجل سبب ولكن يلتفت إليه بقلبه ويعتمد عليه، فهذا شركٌ أصغر؛ وذلك أن التوكل عبادة وصرفه لغير الله والتفات القلب لغيره شرك، فإن كان فيما يقدر عليه فقد وقع في الشرك الأصغر.

■ **الثالث: الوكالة:**

وهذه جائزة، وهي أن توكِّل شخص في أمرٍ ظاهر، ولا تعتمد عليه بقلبك وتعتقد أنه مجرد سبب، وتوكِّله في هذا الشيء؛ كما لو وكَّلت إنسان مثلًا في بيع سيارة؛ هذا يسمى "وكالة"، أو وكَّلت إنسان مثلًا أن يعقد لك مع هذه المرأة، فهذا نوع من الوكالة وهذا جائز، وليس من العبادة، فهو جائز؛ لأنه وكَّل في أمرٍ ظاهر، ولأن هذا الموكِّل لا يلتفت لهذا الموكَّل، ما يكون في قلبه ذُلّ وخضوع، فلا يلتفت إليه بقلبه.

فالتوكل الذي هو من العبادة صرفه لغير الله شرك، ولكن يُنبَّه على أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل؛ فالإنسان يأخذ بالأسباب ويعتمد على الله؛ ولذلك من حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أنه جعل لكل شيءٍ سبب؛

- فإذا أردت دخول الجنة فلابد أن تأخذ بالسبب، وهو: طاعة الله وترك معصيته.
- وإذا أردت الولد، فلابد أن تتزوج وتواقع هذه المرأة.
- وإذا أردت العلم، فلابد أن تدرس وتتعلم.

هذه هي الأسباب، لابد أن تأخذ بها وتعتمد بقلبك على الله، تصدُق مع الله في الاعتماد وتعلم أن هذا مجرد سبب، فلابد أن يأخذ بالسبب؛ ولذلك قال القائل:

ألم ترَ أن الله قال لمريمٍ ... إليك فهزِّي الجذع يسَّاقط الرُّطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزِّها جنته ... ولكن كلُّ شيءٍ له سبب

فالأشياء لها أسباب، لابد أن تأخذ بهذه الأسباب.

والإنسان مع الأسباب لا يخلو من حالات:

- **الحالة الأولى: أن يعتمد على السبب:**

بحيث أنه يعتمد على هذا السبب، هذا وقع في الشرك الأصغر، إن كان مجرد الاعتماد على السبب المشروع.

- **الثاني: أن يفعل السبب ويعتمد على الله:**

فهذا هو الموحِّد وهذا هو المصيب؛ بحيث أنه يفعل السبب المشروع ويعتمد على الله عز وجل.

- **الثالث: الذي ينفي الأسباب:**

فهذا ضالٌّ في الدين تائهٌ في عقله؛ لأنه في الدين إذا فعل ذلك يضل، ولأنه إذا فعل ذلك في الدنيا يتوه ويوصف بـ العتَه، الناس لن يقبلوا منه، فالأسباب موجودة.

ولذلك بعض أهل البدع يقولون: أن الأعمال لا تأثير لها، فالنار لا تحرق عندهم، فلو وضع الإنسان يده على النار ما احترقت من النار ولكن تحترق من الله، ويقولون: أن الحجر إذا رميت

به الزجاج لا ينكسر به ولكن ينكسر عنده! ويقولون: أن السكين لا تقطع؛ وإنما ينقطع اللحم عند وضع السكين!

هذا ضلال! مَن الذي يقبل بهذا الشيء؟! هذا ضلال في الدين وعتَه في العقل، فالأسباب تعمل، وهي مما جعلها الله عز وجل ولها أثر، ولكن هذا الأثر مرتبط بتقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ إذا شاء مضى وإذا شاء انحجب.

قال: (ودَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ﴾ [المائدة: ٢٣])، (علَى) هنا قدَّم ما حقه التأخير، فدلَّ على الحصر وعلى أن هذا الشيء منحصِر على الله عز وجل.

قال: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ يعني: فوِّضوا أموركم الدينية والدنيوية.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فجعل التوكُّل شرط للإيمان، ولكن إذا انتفى التوكل بالكلية من القلب؛ بحيث أنه لا يتوكل على الله مطلَقا ولا يجد في قلبه التوكُّل على الله مطلقًا وتوكَّل على غير الله عز وجل توكُّل عبادة، فهذا ليس بمؤمن بالكلية، وإن كان ضعُف في توكله على الله واعتمد على الأسباب، فهذا قد وقع في ضعف الإيمان.

ثم قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣])، (مَن) شرطية، (يتوكَّل) فعل الشرط، على الله (فهو حسبُه) جوابه، فهنا فيه: شرط، وفعل الشرط، وجواب الشرط.

فالشرط: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ف(من) هذا الشرط، وفعل الشرط (يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يعني يعتمد على الله.

وجوابه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ وهذا جواب الشرط يعني: أن الله كافيه، فمن توكل على الله واعتمد عليه فإن الله عز وجل يكفيه أمور الدين والدنيا.

✍ قال ابن القيم رحمه الله: " التوكُّل على الله عز وجل في أمور الإنسان الدينية"؛ بحيث أن الإنسان يتوكل على الله عز وجل في العبادة، إذا أراد أن يصلي يعتمد على الله أن يعينه، إذا أراد أن يزكِّي يعتمد على الله أن يعينه، وإذا أراد أن يصوم يعتمد على الله عز وجل أن يُعينه، وهكذا.

✍ الثاني: الاعتماد على الله عز وجل في أموره الدنيوية:

- كما لو أراد أن يتوظَّف اعتمد على الله، لا يرجو غير الله عز وجل ويفعل السبب.

- وإذا أراد أن يتزوج اعتمد على الله عز وجل في البحث عن المرأة مثلًا.

- وإذا أراد مثلًا أن يعمل عمل دنيوي اعتمد على الله، فهذا في الدين والدنيا.

✍ قال ابن القيم: فمن اعتمد على الله عز وجل في الأول كفاه الثاني، والثاني داخل في الأول.

قال المؤلف رحمه الله: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ).

قال: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ).

✍ **الرَّغبة** هي السؤال بإلحاح لحصول شيءٍ مستقبل.

هذا يسمى (الرَّغبة)، رَغِبت في كذا يعني يسأل الله عز وجل في أن يوصله لهذا الشيء.

✍ **والرهبة** هي الخوف المقترِن بعمل، فيكون الإنسان عامل خائف.

قال: (والخشوع).

✍ **والخشوع** هو الذل والاطمئنان والاستكانة إلى الله عز وجل.

قال: (والدليل: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠])، (إنَّهم) يعني أنبياء الله عز وجل، الذين ذُكروا قبل هذه الآية ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ)﴾يعني يفعلون الأعمال الصالحة ويسارعون إليها.

﴿وَيَدْعُونَنَا﴾يعني يتوجهون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (رَغَبا) يعني راغبين إلى الله، يريدون ما عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويسألونه، (ورهَبًا) يعني خائفين من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خائفين وعاملين.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]يعني كانوا لنا مطمئنين، أذلَّاء، متعبّدين.

فدلَّ على أن هذه الثلاث من العبادة.

﴿والخشوع:

- قد يكون في القلب؛ كما في هذه الآية الكريمة.

- وقد يكون في البصر؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾.

- وقد يكون في القول؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[طه:١٠٨].

يقول المفسّرون: أن الهمس هو وطء الأقدام، صوت القدم إذا وطئت الأرض، يخرج لها صوت يسمى "همس".

فالخشوع قد يكون في هذه الثلاث.

قال: (وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ).

الْخَشْيَةِ هي نوع من الخوف، ولكنها أخصّ؛ لأنها خوف مقترِن بتعظيم، فهي خوف مقترِن بتعظيم. فالخشية عبادة.

والفرق بين الخوف والخشية من وجهين:

- **الوجه الأول:** أن الخوف أصل، وأن الخشية هي نوع من الخوف.
- **الثاني:** أن الخوف قد يكون بسبب ضعف المخوف لا عظمة المخوف منه -أن الخوف قد يكون بسبب ضعف الخائف؛ كما لو كان الصغير يخاف من أخيه الذي هو أكبر منه، هذا بسبب ضعف الخائف وليس بسبب عظمة المخوف- وأما الخشية فهي تكون بسبب عظمة المخشيّ.

ولذلك إذا عظُم في قلب الإنسان شيء فإنه يخشاه؛ كما أن العلماء يخشون الله عز وجل؛ لأنه عظُمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قلوبهم.

قال: (وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ الآية [البقرة: ١٥٠]). نهى عن أن يُخشى غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فدلّ على أن الخشية عبادة، وأمر بها فدلَّ على أنها عبادة.

ثم قال: (وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ).

الإِنَابَةِ هي الرجوع إلى الله عز وجل بفعل طاعته والتوجه إليه والاستمرار على ذلك.

فالإنابة من العبادة،: وناب، وآب، وتاب؛ كلها نوع من الرجوع إلى الله عز وجل.

فالتوبة الرجوع من معصية الله إلى طاعته، هذه توبة.

والإنابة الرجوع إلى الله عز وجل بفعل طاعته والاستمرار عليها.

وآبَ أيضًا رجع إلى الله عز وجل بذلّ وخضوع واستكانة.

فكلها رجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ الآية [الزمر: ٥٤]) يعني ارجعوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خاضعين مستكنين إليه سبحانه.

﴿إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾يعني انقادوا له.

ثم قال: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ).

الاسْتِعَانَةِ هي طلب العون، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

■ **الأول:** الاستعانة المقترنة بكامل الحب وكامل التعظيم في أمرٍ لا يقدِر عليه إلا الله:

فهذه هي التوجه بها إلى الله من أعظم العبادات، والتوجه بها لغير الله من الشرك الأكبر.

■ **الثاني:** الاستعانة بالأموات مطلقًا أو الاستعانة بغائبٍ أو الاستعانة بحاضر في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله.

فهذا كله شرك.

❍ الأول: الاستعانة بالأموات؛ كما يفعل أصحاب القبور عند القبور، فيأتون إلى صاحب القبر فيستعنون به، فهذا شرك؛ لأن القلب حين أتى إلى هذا الميت قد امتلأ حبًّا وتعظيمًا لهذا الميت، ولأنه سأله في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، ولأنه اعتقد أن فيه نفع وضُر، فهنا وقع في الشرك الأكبر المخرِج من ملة الإسلام.

❍ الثاني: أن يستعين بغائب، فهذا شركٌ أكبر أيضًا؛ لأنه لما توجه لهذا الغائب فقد التفت قلبه إليه بكامل الذل وكامل الحب، وأيضًا لأنه اعتقد أنه متَّصف بصفات الله عز وجل؛ لأن البعيد لا يسمع، فهو اعتقد أن له سمع مثل سمع الله عز وجل، فالله عز وجل يسمع الأصوات في أي مكان، أما المخلوق فإنه يسمع إذا كان في مكان محدَّد، فإذا ابتعد عن هذا المكان ذهب الصوت عنه.

فهذا الذي استعان بهذا المخلوق الغائب، يعتقد فيه أنه متصف بكامل السمع الذي لا يتَّصف به إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي يسمع كل شيء.

❍ الثالثة: الاستعانة بحيٍّ قادر حاضر فيما يقدر عليه، فهذا جائز؛ كما لو استعنت بمخلوق في حمل المتاع، قلت: "يا فلان أعنِّي" فهذا جائز، أو استعنت بمخلوق في إحضار ماء، فقلت: "يا فلان اذهب فأتني بماء" فهذا جائز.

قال المؤلف رحمه الله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]).

- (إيَّاك) ضمير منفصل، وقُدِّم الضمير لإفادة الحصر.

- وقوله: (نعبُد) أي: نتوجَّه لك بالعبادة ذلًّا ومحبةً وتعظيمًا.

- و(إيَّاك) أيضًا قُدِّم الضمير لإفادة الحصر، (وإياك نستعين) يعني نطلب العون، والضمير عائد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أي: إيَّاك يا رب نعبد وإياك نستعين ونتوجَّه بالعبادة والاستعانة.

وهذا يدل على أن الاستعانة عبادة؛ لأن فيها حصر، وهذي المتضمنة كامل الذل والخضوع في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، فهي من.

قال: (وَفِي الْحَدِيثِ: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله») يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أوصى ابن عباس رضي الله عنه، قال له: «يا غُلَام». ثم قال له: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله» يعني إذا طلبت العون فاطلبه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فدلَّ على أن الاستعانة عبادة، ومن أعظم العبادات: أن الإنسان يستعين بالله عز وجل على أموره الدينية والدنيوية.

ولذلك إذا عمل الإنسان الأعمال الدينية أو الدنيوية بغير استعانة الله عز وجل خُذل، فإذا اعتقد في نفسه أنه يقدر على فعل الشيء من غير إعانة الله له فهو في ضلالٍ بعيد، فلابد أن يعين الله عز وجل العبد حتى يصل إلى ما أراده من أمور دينه ودنياه.

- فإذا صلى الإنسان فليستعين بالله، ولذلك قال: **(إيَّاكَ نعبد)** قدَّم العبادة، **(وإياكَ نستعين)** يعني على هذه العبادة.

- وإذا أراد الإنسان أن يعمل أعمال دنيوية فليستعين بالله ويطلب الإعانة منه، لا يقول: أنا صاحب عقل، أنا صاحب فهم، أنا صاحب تجارب، لا، إذا قلت ذلك خُذلت؛ بل عليك أن تستعين بالله عز وجل وتعتقد أنه هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي يعينك.

قال المؤلف: **(وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ)**.

الاستعاذة هي الاعتصام من مخوف.

أن تعتصم بشيء ليعيذك من أمرٍ تخافه، فهذه هي الاستعاذة، وهي طلب الإعاذة من الشيء، بحيث أنك تعتصم بالله عز وجل ليعيذك من هذا الشيء.

والاستعاذة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

■ **الأول:** الاستعاذة بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** المتضمِّنة لكامل التعظيم وكامل الذل وكامل الحب في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فهذه عبادة ومن أعظم العبادات، وصرفها لغيره شرك.

■ **الثاني:** الاستعاذة بالأموات أو الغائبين أو الاستعاذة بمخلوقٍ حي حاضر في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شركٌ أكبر مُخرج من ملة الإسلام.

- **فأما الأول: الاستعاذة بالأموات**، فهذا شرك مطلقا؛ لأن الأموات قد أفضوا إلى ما قدَّموا، فالذي يستعيذ بالأموات يكون قد وقع في الشرك؛ لأنه يصرف لهم نوع من العبادة.

- **أيضًا الاستعاذة بالغائب؛** يعتصم بشخصٍ غائب، فهذا شرك؛ لأنه لما فعَل ذلك قد توجَّه بقلبه لهذا الغائب بكامل الذل وكامل الخضوع وكامل الحب، وأيضًا لأنه اعتقد أن هذا الغائب على كل شيءٍ قدير، هذا الغائب الذي في مشرق الأرض وأنت في مغربها كيف يعيذك؟! لا يعيذك في هذا الشيء، أما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فلو كنت في أي مكان واستعذت به لأنقذك؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على كل شيءٍ قدير، وأما المخلوق فإنه لا يقدر إلا على ما أقدره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه.

- **الثالث:** الاستعاذة بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ في أمرٍ يقدر عليه، فهذه الأقرب -والله أعلم- أنه جائز؛ بحيث لو استعذت بمخلوق في أمرٍ يقدر عليه، يعني استعذت بجبل مثلًا أن يعصمك من الماء، أو استعذت بمخلوق صاحب منصب أن يُبعد عنك فلان، فهذا الأقرب والله أعلم أنه جائز، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

- ما جاء في **[الصحيح]** أن أبو مسعود البدري رضي الله عنه كان يضرب له غلام، وكان الغلام يقول: أعوذ بالله! فلما أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أعوذ برسول الله. فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن أبي مسعود: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» قال: فمَا شعَر من شدَّة الغضب، فلما عَلِمت أنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سقطت من يده العصا، فقال: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عليه» فالغلام استعاذ برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه قادر وحاضر وحيّ.

- وأيضًا جاء في [صحيح مسلم] من حديث أبي هريرة: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ستكونُ فتَنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من السَّاعي».

قال: «والماشي خيرٌ من السَّاعي، ومَن يَسْتَشْرِفها» يعني: الفتنة تستشرِف، يعني مَن يُقبل عليها تأخذ به ويضل فيها، وجه الشاهد: قال: «فمَن وجَدَ ملاذًا أو معاذًا فليعُذ بهِ».

- وجاء في حديث أم سلمة: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَعُوذُ عائِذٌ بالبَيْتِ» يعني يعتصم معتصِم بالبيت، وهذا في [صحيح مسلم].

فدلَّ على أن الاستعاذة بالمخلوقِ في أمرٍ يقدر عليه وهو حاضر فهذا جائز، ومن العلماء مَن قال: لا يجوز مطلقًا؛ لأن الاستعاذة نوع من التفات القلب.

قال: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ)ويُنبَّه على أن هناك فرق بين الاستعاذة واللياذَة -استعاذ بكذا ولاذَ بكذا، استعاذ بالله ولاذ بالله-:

- **فأما الاستعاذة** بالله فهي الاعتصام بالله عز وجل من شيءٍ مخوف.
- **وأما اللّياذ** بالله فهو الاعتصام بالله عز وجل في شيءٍ محبوب.

ولذلك قال الشاعر:

يا مَنْ ألُوذُ بِهِ فيما أُؤمّلُهُ ... وَمَنْ أعُوذُ بِهِ مِمّا أُحاذِرُهُ

لا يَجْبُرُ النّاسُ عَظْما أنْتَ كاسِرُهُ ... وَلا يَهيضُونَ عَظْما أنتَ جابِرُهُ

وهذا الشاعر يقوله لمخلوق! وهذا الكلام لا يصح إلا لله عز وجل، فتلوذ بالله عز وجل في أمر محبوب، وأيضًا تعوذ بالله من أمر مخوف.

قال: (وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ).

الاسْتِغَاثَةِ طلب الغوث، وهي نوع من الدعاء ولكنها أخَصّ؛ لأنها تكون حال الشدة، فالاستغاثة هي طلب الغوث من شدة لتُنقذ منها.

والاستغاثة على أقسامٍ ثلاثة:

■ **القسم الأول: الاستغاثة بالله عز وجل المتضمنة لكامل الحب وكامل التعظيم في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**

فهذه من أعظم العبادات وصرفها لغير الله شرك.

■ **الثاني: الاستغاثة بالأموات أو الغائبين أو في مخلوقٍ حي حاضر ولكن في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**

فهذه شرك أكبر، فمثلًا:

- الاستغاثة بميت، يأتي إلى صاحب قبر فيستغيث به: "أنجني من هذه الشدة" فهذا شرك؛ لأنه صرف التعبد لغير الله.

- الثاني: أن يستغيث بغائب، يعني يكون الإنسان في مكان يخاف أن يهلك فيه فيسأل هذا الغائب، وهو خائف معظِّم لهذا الغائب، فهذا شرك؛ لأنه توجَّه بالعبادة لغير الله.

- الثالث: أن يسأل حي حاضر ولكن في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله؛ كما لو التجأ لمخلوق في أن يُدخله الجنة، فيقول: "أسألك بالله أن تدخلني الجنة" ويكون في قلبه استغاثة به، هذا شرك.

أو يستغيث بمخلوق في أن يشفيه من أمراض معنوية مثلًا، يكون مريض بمرض معنوي، فيسأل هذا الحي فيقول: "أسألك أن تنجيني من هذا المرض" هذا شرك؛ لأنه طلب من المخلوق أمر لا يقدر عليه إلا الله.

■ **الثالث: الاستغاثة بحيٍّ حاضرٍ قادر:**

فهذا جائز، كما لو كان الإنسان سقط في بئر، ثم قال: "يا فلان أخرجني من هذه البئر" هذا جائز، ولو مثلًا هرب من سبع، وقال: "يا فلان أَبعِد عني هذا السبع" فهذا جائز.

والدليل على ذلك: أن الله عز وجل قال عن صاحب موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[القصص:١٥].

فإذا كانت بحي حاضر في أمرٍ يقدر عليه، فهذه جائزة، ويكون سبب ظاهر.

✍**وهنا فائدة**: الدعاء والاستعاذة والاستغاثة والاستعانة جائزة بالمخلوق بشروطٍ ثلاثة:

■ الشرط الأول: أن يكون حاضر.

■ الشرط الثاني: أن يكون قادر على الشيء الذي تستعيذه به أو تستغيثه أو تدعيه.

■ الثالث: أن يكون حي.

فهذه الشروط الثلاثة.

فإذا كان المسؤول غائب، فهذا شرك، أو كان هذا المسؤول ميت، فهنا قد وقع الإنسان في الشرك، أو كان في أمرٍ لا يقدر عليه إلا الله، فهنا وقع في الشرك، فهذا هو الضابط.

قال المؤلف: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ).

✍**الذَّبْحِ** هو إراقة الدم بقطع الودجين والحلقوم على صفةٍ مخصوصة.

والذبح من حيث العموم ينقسم إلى قسمين:

■ **الأول: تعبُّد:**

أن يذبح تعبُّدًا، والضابط في ذلك: أن يكون نية الذابح التقرُّب والتعظيم، فهذا عبادة لله عز وجل وصرفه لغيره شرك، فمن ذبح لمخلوق متقربًا إليه معظِّمًا له فقد وقع في الشرك؛ كمن ذبح لميت متقربًا إليه معظِّمًا له فقد وقع في الشرك، أو ذبح لمخلوق متقربًا إليه معظمًا له فقد وقع في الشرك.

كما مثلًا: لو دخل الأمير فأتى بهذه الذبيحة فذبحها أمامه؛ يريد التقرب إليه والتعظيم، فهذا شرك؛ لأن الذبح عبادة وصرف هذه العبادة لغير الله شرك.

■ **الثاني: الذبح الجائز:**

وهو أن يذبح مريدًا لـ اللحم، بغض النظر عن التقرُّب والتعظيم، يكون مريدًا للحم فقط، وقد يكون ذبح لضيف فيكون مستحَب، أو يكون ذبح لوليمة عُرس فيكون مستحَب، أو يكون ذبح لإرادة اللحم والتمتُّع به، هذا يكون جائز، وهكذا، **فالضابط في ذلك**: أنه أراد اللحم.

فإذا ذبح الإنسان للضيف فهو يريد اللحم، لا يريد التعظيم للضيف، إذا ذبح الإنسان للضيف فإن كان قصده إرادة اللحم فهذا جائز، بل قد يكون مستحب؛ كما لو أتاك ضيف ثم ذبحت له شاه، ثم قدَّمتها بين يديه، هل أردت إراقة الدم لهذا الضيف؟ لا، هل أردت التعظيم له؟ لا؛ وإنما أردت أن يأكل هذا اللحم.

أيضًا إذا ذبحت لوليمة العُرس، فهنا ما أردت التقرب ولا التعظيم؛ أردت اللحم.

أيضًا إذا أردت أن تتمتع بهذا اللحم، فهذا جائز، **الضابط في ذلك**: أن الذبح إذا كان على وجه التقرُّب والتعظيم للمذبوح له، فهذا شرك، سواء كان هذا المذبوح له حي أم ميت، حاضر أم غائب، إذا كان على وجه التقرُّب والتعظيم فهو عباده، فصرفها لغير الله شرك.

كما كان يُفعل قديمًا؛ إذا دخل الأمير ذبحوا الذبائح أمامه، **فهنا يُنظر في نية الفاعل**:

- إن كان أراد التعظيم والتقرب فقد وقع في الشرك الأكبر.

- وإن أراد الإكرام، فهذا لا يجوز حتى لو كان للإكرام.

أما لو دخل عنده الأمير وذبح له الذبائح الكثيرة، فهذا جائز، بل قد يكون مستحب؛ ولذلك يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنزِلوا النَّاسَ مَنازِلَهم». أما التعبُّد فهو لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يُصرف لغيره.

وأيضًا ما يفعله أصحاب القبور عند القبور:

- فتجد أنه يأتي بالذبيحة ثم يأتي إلى القبر فيريق هذا الدم؛ تقربًا لهذا الميت، هذا قد وقع في الشرك الأكبر المخرِج عن ملة الإسلام.

- أما إذا ذبح لله عند القبور، فهذا قد وقع في وسيلة من وسائل الشرك، وليس فعل الشرك وإنما وقع في وسيلة من وسائل الشرك.

فالضابط الذي يضبط لك المسألة: أن الإنسان إذا أراد التقرُّب والتعظيم فإن هذا عبادة، وصرفه لغير الله شرك.

قال المؤلف: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ﴾[الأنعام:١٦٢]) يعني: قل يا محمد ﴿إِنَّ صَلاتِي﴾[الأنعام:١٦٢]) صلاتي المعروفة مثل: الصلوات الخمس ونحو ذلك، ويشمل: الفرض والنفل.

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾هذا محل الشاهد: (ونُسُكي) يعني: ذبيحتي، فدلَّ على أن النسك عبادة.

﴿وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ﴾يعني ما أحيا عليه من الإيمان وما أسير عليه في هذه الحياة من عمل صالح.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾يعني: ما أموت عليه وألاقي ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه.

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ واللام لام الاختصاص؛ أي كل هذا مختص بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فصلاتي لله، وذبحي لله، فمن ذبح لغير الله فقد أشرك بالله؛ لأن الله عز وجل جعل الذبح مختص به؛ ولذلك قال: ﴿لا شَرِيكَ لَهُ﴾[الأنعام:١٦٣] يعني: لا أُشرك به غيره، يعني لا أُشرك بعبادتي غير الله.

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾[الأنعام:١٦٣] يعني: أُمرت بهذا الأمر، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٣] يعني: أول المسلمين من هذه الأمة، أو أول مَن امتثل أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (وَمِنَ السُّنَّةِ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله») يعني الدليل على أن الذبح عبادة، قال: (لَعَنَ الله) وهذا يُحتمل أنه خبر؛ يعني يُخبر أن الله عز وجل قد لعن مَن فعل ذلك، ويُحتمل أنه دعاء، يعني يدعو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الرجل.

«لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله» يعني ذَبح على وجه التقرُّب والتعظيم، ذبح لغير الله يريد التقرُّب والتعظيم، فهذا ملعون.

قال المؤلف: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ).

النَّذْرِ هو أن يوجب الإنسان على نفسه شيء ليس واجب بأصل الشرع.

والنَّذْرِ ينقسم إلى قسمين:

■ **الأول: مطلق:**

كأن يقول مثلًا: "لله عليّ الليلة أن أصلي إحدى عشرة ركعة".

■ **الثاني: أن يكون مقيَّد بأمر:**

؛ كما لو قال مثلًا: "إن رزقني الله عز وجل بولد ذبحت شاه، إن نجحت في هذا الاختبار تصدَّقت على الفقراء"، فهنا إذا وقع هذا الشيء يجب عليك أن تفي.

والنذر مكروه، عقد النذر مكروه، والوفاء به واجب؛ ولذلك قال الخطابي: أن النذر من أبواب العلم التي فيها غرابة! كيف أن عقده مكروه والإيفاء به واجب؟! فهو مخالف لقاعدة **[الوسائل لها أحكام المقاصد]**.

فالوسيلة غالبًا تكون لها أحكام المقصد، وأما النذر فخالف هذه القاعدة؛ لأن عقده مكروه والوفاء به واجب؛ ولذلك عقد النذر مكروه، والدليل على ذلك: ما جاء في **[الصحيحين]** من حديث ابن عمر: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**النَّذْرُ لَا يأتِي بخيرٍ؛ وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به مِنَ البَخِيلِ**».

ولذلك يُستخرج به من البخيل، والمعنى: أن البخيل لا يعمل حتى ينذر، فإذا نذر وتحتَّم عليه الأمر عَمِل، أما إذا لم ينذر ما يعمل.

وقد يقول قائل: أليس الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مدَح الموفين بالنذر؟

الجواب: بلى! ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مدَح الموفين وليس الناذرين –انتبه– مدَح الموفين وليس الناذرين.

فمثلًا: عقد النذر مكروه ولكن الإيفاء به ممدوح، فإذا عقد الإنسان فقد وقع في مكروه، ولكن إذا وفا به فقد وقع في أمرٍ محمود يُحمد عليه.

قال: **(وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧])** يعني: يوفون بما ألزموا به أنفسهم.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ يعني: يخافون هذا اليوم الذي يكون اليوم منتشر، عام، وهو يوم القيامة، فيوم القيامة يكون الخوف فيه عام، فيومٌ عظيم ذلك اليوم!

✍ ولذلك يقول القحطاني رحمه الله:

يومُ القيامة لو علمت بهوله ... لفررت من أهلٍ ومن أوطانِ

يومٌ تشقَّقت السماء لهوله ... وتشيب فيه مفارق الولدانِ

يومٌ عبوس قمطرير شره ... في الخلق منتشر عظيم الشأنِ

فهو يوم عظيم! ولذلك هم يخافون هذا اليوم فيوفون بالنذر.

فهنا ذكر المؤلف رحمه الله أنواع من أنواع العبادات التي ينبغي للمسلم أن يعمل بها، والمؤلف رحمه الله ذكر نوع من أنواع العبادات، والعبادات كثيرة، منها: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والنوافل وغير ذلك.

(المتن)

[الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة والخلوص من الشرك.

وهو ثلاث مراتب: (الإسلام) و (الإيمان) و (الإحسان)، وكل مرتبةٍ لها أركان.

فأركان الإسلام خمسةٌ، والدليل من السُنَّة حديث ابن عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهما، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شَهادةِ أن لا إِلَهَ إِلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصَومِ رمضانَ، وحجِّ البيتِ لمنِ استطاعَ إليهِ سبيلًا».

والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٩]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

فدليل الشهادة: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران:١٨]، ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله وحده، و (لَا إلهَ) نافيًا جميع ما يُعبد من دون الله، (إلَّا الله) مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في مُلكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾[الزخرف:٢٦-٢٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٦٤].

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]. ومعنى شهادة أن محمدا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلَّا بما شرع.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥].

ودليل الصيام: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:١٨٣].

ودليل الحج: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧]].

(الشرح)

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا الأصل الثاني من الأصول الثلاثة، وهي:(معرفة دين الإسلام بالأدلة).

- وقوله: (معرفة)؛ **المعرِفة** هي العلم بالشيء.
- وقوله: (دين الإسلام)**الدِّين** هو الطَّاعة، هوما يدين به الإنسان ويتديَّن به.
- **والإسلام** هو الاستسلام لله عَزَّ وَجَلَّ بالطاعة، **وهو ينقسم إلى قسمين**:

■ **الأول: استسلام كوني:**

بحيث أن الخلق منقادون لأمر الله الكوني، فهذا الاستسلام لا يخرج عنه أحد، لا مؤمن، ولا كافر، ولا بر، ولا فاجر ولا أي مخلوق؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[آل عمران:٨٣]. فهذا استسلام كوني؛ بمعنى: أن الخلق منقادون لأمر الله الكوني، تجري عليهم أوامره الكونية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

■**الثاني: استسلام شرعي، وهو نوعان:**

- عام.
- وخاص.

فأما العام فهو: الاستسلام لله عَزَّ وَجَلَّ بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله في كل زمانٍ ومكان كانت الشريعة فيه قائمة.

وعلى هذا التعريف أتباع الأنبياء حين كون رسالة الأنبياء قائمة مسلمون، فأتباع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا مسلمين، وأتباع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين آمنوا به كانوا مسلمين، وهكذا؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكايةً عن موسى قال:﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس:٨٤].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[آل عمران:٦٧].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٣].

فهذا الإسلام بمعناه العام.

النوع الثاني: الإسلام بمعناه الخاص: وهو ما بُعث به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فبعد مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا إسلام إلا ما جاء به، فبعد ما بُعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالمسلم هو مَن اتَّبعه، ومن لم يتبعه فليس بمسلم؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٩].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ﴾[آل عمران:٨٥].

- وجاء في [صحيح مسلم]: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أحد من هذه الأمة لا يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كانَ مِنْ أَصْحَابِ النار».

فعلى هذا المعنى: لا إسلام إلَّا ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو خرج يهودي أو نصراني وقال: "أنا مسلم ولكن متَّبع لموسى أو عيسى ولا أؤمن بمحمد" عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جميعًا، فهذا ليس بمسلم؛ بل هو على ملة الكفر؛ لأن بعد مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالإسلام ما جاء به، نُسخت الأديان التي قبل ذلك؛ فلذلك يُنبّه على هذا الشيء.

قال المؤلف: **(وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك)**.

قوله: **(الاستسلام لله)** يعني: الخضوع لله عَزَّ وَجَلَّ.

(بالتوحيد) يعني: بتوحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، أن يؤمن أنه لا إِلَهَ إِلَّا الله.

(والانقياد له بالطاعة) بحيث ينقاد لطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، يفعل المأمور ويترك المحذور.

(والخلوص) يعني: التنقية من الشرك؛ بحيث ينقّي العبادة من الشرك.

قال: **(وهو ثلاثة مراتب)** يعني مراتب الدين ثلاثة.

قال: **(الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان)**، المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أجمل هنا وسيفصل هذه الثلاثة، سيجعل لكل درجة فصل.

قال: المرتبة الأولى: **(الإسلام)** هذه هي المرتبة الأولى.

قال: **(فالإسلام)** هذا الإسلام بمعناه الخاص، وهو الذي جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: **(فأركان الإسلام خمسة)**.

الرُّكن لغةً هو جانب الشيء الأقوى، والإسلام له أركان لا يقوم إلَّا بها، وهي خمسة، وسيأتي إن شاء الله بيان ما هو الذي إذا فُقد منها خرج الإنسان من الإسلام.

قال: **(خمسةٌ: شَهادةِ أن لا إِلَهَ إِلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ)**هذا الأول، هذا أول أركان الإسلام، وهو: **(شهادةُ أنَّ لا إِلَهَ إِلَّا الله)**.

الشَّهادة أي يُقرّ بقلبه ناطقًا بلسانه **(أن لا إِلَهَ إِلَّا الله)**؛ أي: لا معبود بحق إلا الله، **(وأن محمدًا رسول الله)** يعني: ويعتقد أن محمدًا مُرسَل من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فيُقرّ بقلبه ناطقا بلسانه أن محمدًا رسول الله.

وعلى هذا لو قال أحد الأمم الماضية: أنا مؤمن بالرسول الذي بعث إلينا -يعني مثل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أوعيسى- وأشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا الله، ولكن لا أشهد أن محمدًا رسول الله، فهذا لم يدخل الإسلام؛ لأنه فَقَدَ ركن من أركان الإسلام؛ إذ أن شهادة أن لا إِلَهَ إِلَّا الله لا بد فيها أن يعتقد أن محمدًا رسول الله.

فشهادة أن لا إِلَهَ إِلَّا الله وأن محمدًا رسول الله؛ هذا ركن واحد، فلا يمكن للإنسان أن يأتي بأول الشهادة ويترك الباقي، بمعنى أن يقول: لا إِلَهَ إِلَّا الله، ولكن لا يشهد بأن محمدًا رسول الله، فهذا لا يسمى مسلم، لابد من أن يقرّ.

قال: **(وإقام الصلاة)** يعني أن يأتي بالصلاة قائمة بشروطها، وهذا الركن الثاني.

قال: **(وإيتاء الزكاة)**يعنيأن يعطي الزكاة لمستحقيها.

(وصوم رمضان) يعني يصوم الشهر الذي افترضه الله عَزَّ وَجَلَّ.

(وحج البيت) يعني يحُج البيت الذي افترضه الله عَزَّ وَجَلَّ.

فهذه خمسة أركان، وهي أركان الإسلام:

■ **الشهادتان:**

وهذه إذا فُقدت خرج الإنسان من الدين.

■ **الثاني: الصلاة:**

وهذه إذا تُركت -سواء كانت جحدًا أم كسلًا- خرج الإنسان من الدين.

■ **الثالث: الزكاة:**

فهذه إن جُحدت، جَحَد الزكاة ومثله لا يجهل فإنه يخرج من الدين، وإن تركها بخلًا فإنه يبقى في الإسلام ولكنه فَعَل ذنب عظيم وجرم كبير.

■ **الرابع: الصوم:**

فهذا إن جحد الصوم خرج من الإسلام إن كان مثله لا يجهل؛ لأنه مكذِّب بالنصوص من الكتاب والسُنَّة.

وإذا ترك الصوم كسلًا فإنه لا يخرج من الدين، ولكنه فعل ذنب عظيم وجُرم كبير؛ لأنه ترك ركن وقاعدة من قواعد الإسلام.

■ **الخامس: الحج:**

والحج ركن، فإذا تركه جحدًا خرج من الإسلام، وإن تركه تكاسلًا فإنه يبقى في الدين ولكنه فعَلَ جرم عظيم.

إذَن أركان الإسلام خمسة، اثنان منها إذا تُركت خرج الإنسان من الدين، وهي: الشهادتين والصلاة، الثالث والرابع والخامس إذا تُركت فإن الإنسان فعل جُرم عظيم ولكنه يبقى في الإسلام إذا تُركت تكاسلًا، يعني إذا تُرك شيء منها، إذا تُرك شيء من هذه الأركان.

وهنا المؤلف رَحِمهُ الله أجمل، ثم سيأتي التفصيل بعد ذلك.

قال: **(فدليل الشهادة)** يعني الدليل على أن الشهادة ركن.

وهذه الأركان الخمسة جاء فيها أحاديث كثيرة، منها: ما جاء في [الصحيحين] من حديث ابن عمر: أن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: **«بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شَهادةِ أن لا إِلَهَ إِلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وصَومِ رمضانَ، وحجِّ البيتِ لمنِ استطاعَ إليهِ سبيلًا»**.

هذه خمسة أركان يقوم عليها الدين؛ لأن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: **«بُنِي الإسلام»**.

والإسلام له أصول، وهي هذه، وله فروع، مثل: الإحسان -وسيأتينا إن شاء الله هذا.

قال: **(فدليل الشهادة: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ﴾[آل عمران:١٨])**.

﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يعني أعلَم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** أي لا معبود بحق إلا هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، **﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾** والملائكة أيضًا يشهدون أن لا إِلَهَ إِلَّا الله.

﴿وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ يعني أصحاب العلم والبصيرة يشهدون أن لا إِلَهَ إِلَّا الله، **﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾** يعني كون الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** قائمًا بالقسط، وهو العدل؛ فهو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عادل في أحكامه الكونية وأحكامه الشرعية.

قال: **﴿لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** يعني لا معبود بحق إلَّا هو **﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** العزيز الذي له العزَّة من جميع الوجوه، والحكيم الذي له الحُكم والحكمة.

ثم قال: **(ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وحده)** هنا فسَّر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ معنى **(لا إِلَهَ إِلَّا الله)**، **وقد اختلف الناس في معنى (لا إِلَهَ إِلَّا الله) على أقوال:**

✍ القول الأول: قول أهل السُنَّة -وهو ما عرَّفه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ- قالوا: أن معنى **(لا إِلَهَ إِلَّا الله)** أي: لا معبود بحق إلَّا الله.

وهذا هو التعريف الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسُنَّة: لا معبود بحق إلَّا الله، هذا هو التعريف الصحيح، وسيأتي أن في القرآن ما يدل على هذا التعريف بالمطابقة.

✍ الثاني من أهل الكلام: قالوا: معنى **(لا إِلَهَ إِلَّا الله)** أي: لا خالق إلا الله، وهذا التعريف ليس بصحيح لهذه الكلمة؛ لأنه لو كان هذا هو التعريف الصحيح لكان كفار قريش على الإسلام؛ ولذلك كفار قريش يشهدون أنه لا خالق إلا الله، يقولون: لا خالق إلا الله؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[الزخرف:٨٧].

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[لقمان:٢٥]إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

فلذلك ليس هذا هو التعريف الصحيح؛ لأنه لو كان هذا التعريف ما قاتلهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهم يشهدون أن لا خالق إلا الله.

✍ الثالث: مَن قال أنه لا معبود إلَّا الله، وهذا التعريف ليس بصحيح؛ لأنه يستلزم منه قول باطل؛

- أولًا: أن الواقع يكذِّب هذا المعنى، فلو كان التعريف "لا معبود إلَّا الله" فكيف نوجِّه هذه المعبودات التي تُعبد من دون الله؟!

ولأن في القرآن ما يُبطل هذا المعنى؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[هود:١٠١].

الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت أنهم يتألَّهون غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيضًا في الواقع وُجد مَن عبَد الشمس ومَن عبَد الشجر ومَن عبَد الملائكة ومَن عبَد الأنبياء والصالحين، وهكذا، الواقع يكذِّب هذا التعريف أو هذا المعنى.

وأيضًا يستلزم قول باطل، وهو القول بوحدة الوجود، وأهل وحدة الوجود يعتقدون أن هذا الوجود كله واحد، فمن عبَدَ الشجر فقد عبَدَ الله، ومن عبَدَ الحجارة فقد عبَد الله، ومن عبَد البشر فقد عبَد الله عندهم؛ لأن هذا معنى وحدة الوجود، يقولون: كل شيء واحد، ليس هناك خالق ومخلوق!

وهذا القول من أبطل الباطل.

فلذلك التعريف الصحيح الموافق للكتاب والسُّنَّة هو: لا معبود بحق إلَّا الله؛ لأنه عُبِد غير الله ولكنه عبادة باطلة، وأما مَن عبَد الله فقد أوقع العبادة موقعها الصحيح.

ولذلك قال المؤلف: (ومعناه: لا معبود بحق إلَّا الله وحده، ولا إله نفي).

كلمة (لا إِلَهَ إِلَّا الله) لها ركنان:

- الأول: النفي.
- الثاني: الإثبات.

الأول: النفي؛ بمعنى أنك تنفي جميع الآلهة الباطلة، فتقول: (لا إله)وهذا نفي.

الثاني: أن تثبت العبادة الحق والإلهية الحق لله وحده لا شريك له، وهي معنى (إِلَّا الله).

ففيها نفي وإثبات.

فلو قال الإنسان: **(لا إله)** وسكت، فهذا تعطيل، ولو قال: **(إلَّا الله)** فهذا لا ينفي المشاركة، فلابد من النفي والإثبات، فتنفي الآلهة الباطلة وتثبت الإلهية الحق لله وحده لا شريك له.

ولذلك قال المؤلف: **(ولا إله نفي جميع ما يُعبد من دون الله)** فتكفر بجميع ما يُعبد من دون الله، وتعتقد بطلان عبادة غير الله كائنًا مَن كان.

وقوله: **("إلَّا الله" مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له)** فتُثبت أنه لا يستحق العبادة إلَّا الله، وليس هناك إله حق إلا الله.

ولو قال قائل: هل هناك آلهة غير الله؟

الجواب: أنه ليس هناك آلهة حق غير الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ ولذلك قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[البقرة:١٦٣] يعني الإله الحق، وأما الآلهة الباطلة فكثير، الآلهة الباطلة التي هي مجرد أسماء فهي كثير؛ كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ**﴾[النجم:٢٣]لما كان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يرد على صاحبي السجن، فبيّن أن هذه المعبودات التي عبَدها البشر إنما هي أسماء، ليست هي آلهة حقًّا؛ وإنما هي أسماء وعبدوها من دون الله.

فالإله الحق هو الله وحده لا شريك له؛ ولذلك قال: **(وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريكٌ في مُلكه)**.

كما أن المشرِك يعتقد أنه لا شريك لله في مُلكه فعليه أن يعتقد أنه لا معبود بحق إلَّا الله، وأما المؤمن فجمع بين الأمرين: اعتقد أنه لا مالك مع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ولم يعبد إلَّا الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، هذا فعل المؤمن: أنه اعتقد أنه لا شريك لله في مُلكه، وأنه توجه لله عَزَّ وَجَلَّ بالعبادة، وهذا هو الطريق الصحيح.

قال: **(وتفسيرها الذي يوضِّحها)** كما تقدَّم: أن هذه الكلمة معناها **(لا معبود بحق إلَّا الله)** وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسُنَّة، وأتى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالدليل من الكتاب؛ قال: **(وتفسيرها الذي يوضِّحها قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾**[الزخرف: ٢٦])، **﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾** يعني من جميع المعبودات.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾[الزخرف: ٢٧]يعني: إِلَّا الَّذِي خَلَقَنِي، وهو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهذا هو الاستثناء.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ يعني: سيُوفِّقني للرشد والطاعة والهداية، والسين للتوكيد.

قال:**﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾**[الزخرف:٢٨]، **﴿وَجَعَلَهَاكَلِمَةً﴾** يعني **(لا إِلَهَ إِلَّا الله)** وكلمة التوحيد **﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾** يعني: في ذريته، **﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** يعني: يرجعون إلى هذه الكلمة فيوحِّدون الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

إذَن.. معنى **(لا إِلَهَ إِلَّا الله)** معناها: لا معبود بحق إلَّا الله.

ولذلك أهل البدع -كأهل الكلام- لما فسَّروا **(لا إِلَهَ إِلَّا الله)** بـ لا خالق إلَّا الله وقعوا في الشرك؛ لأن هؤلاء يتقرَّبون إلى القبور بالذبح، والذبح عبادة، ويتقربون إلى القبور بالدعاء والدُّعاء عبادة، ويتقربون إلى القبور بالنذر والنذر عبادة، فإذا سألتهم: لِمَ صرفتم العبادة لهؤلاء؟ قالوا: نحن لا نعتقد أنهم يخلقون، ولا نعتقد فيهم أنهم ينفعون مع الله فلم نُشرك.

هذا الحجة عندهم! والذي يفسِّر هذه الكلمة بأن معناها "لا معبود بحق إلا الله" يقول: أنتم وقعتم في الشرك؛ لأنه لا يستحق العبادة ولا يجوز أن تُصرف العبادة إلا لله، وهذا هو الحق.

ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أنكر على الكفار اتخاذهم آلهة مع الله؛ بحيث أنهم توجهوا إليها بالعبادة، قالوا ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[ص:٥]يعني جعل المعبود واحد، فلذلك هم ما أنكروا أنه لا خالق إلا الله؛ بل هم يعتقدون لاخالق إلا الله.

الله عَزَّ وَجَلَّ يقول:﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾[الزخرف:٨٧]يعني يا محمد ﴿مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، بل إن الكفار كانوا يعتقدون بربوبية الله، وأيضًا يعتقدون ببعض المسائل التي هي في العقيدة؛ لذلك يقول شاعرهم: "اِن كانَ رَبّي في السَماءِ قَضاها".

فيعتقدون علوّ الله، ويعتقدون أن الله هو الخالق، ولكنهم يُشركون في التعبُّد، فيقعون في عبادة غير الله عَزَّ وَجَلَّ!

✍ثم قال المؤلف: (وقول الله تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾[آل عمران:٦٤])هذا نداءٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(قُل) يعني قُل يا محمد، (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وسُمُّوا أهل الكتاب لأنهم أُنزلت عليهم كتب التوراة والإنجيل.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا﴾يعني هلُمُّوا وأقبِلوا، ﴿إِلَى كَلِمَةٍ﴾يعني إلى أن نجتمع على كلمة ﴿سَوَاءٍ﴾يعني نستوي نحن وأنتم فيها، أو كلمة عدل، والمعنيان صحيحان؛ فهي كلمة عدل، وهي كلمة يستوي فيها الناس.

قال:﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾وهذا معنى (لا إِلَهَ إِلَّا الله) يعني: لا نتوجه بالعبادة إلا لله.

﴿وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ يعني ولا نخلط بعبادة الله عَزَّ وَجَلَّ غيره، و(شيئًا) نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، يعني ما نخلُط عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ بغيره.

﴿وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾يعني لا يُصيِّر بعضنا بعضًا ربًّا.

أربابًا جمع ربّ.

﴿وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ يعني: مشرِّعين، فهم اتخذوهم مُشَرِّعِينَ من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فحلّلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال، واتّبعوهم على ذلك.

قال:﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾يعني إن أعرضوا ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يعني مُسْتَسلِمون لله عَزَّ وَجَلَّ مُنقادون له.

ثمّ قال المؤلف: **(ودليل شهادة أنّ محمدًا رسول الله)**:

(شهادة أنّ محمدًا رسول الله) هي من الركن الأول؛ لأنّ الركن الأول كما تقدّم معناه: **(لا إِلَهَ إِلَّا الله، محمدًا رسول الله)** هذا هو الركن الأول.

قال: **(ودليل شهادة أنّ محمدًا رسول الله: قوله تعالى:﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة:١٢٨])**. يعني: من جنسكم، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾**(عزيزٌ)** يعني شاقٌ ﴿عليه ما عَنِتُّم﴾يعني: ما يشقّ عليكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾يعني حريص على هدايتكم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يعني بالمؤمنين خالص الرحمة، بالمؤمنين الذين آمنوا بالله عَزَّ وَجَلَّ وباليوم الآخر وبملائكته، ورسله، وكتبه.

(رؤوفٌ) والرأفة هي أرقّ الرحمة، **(رحيمٌ)** يعني يرحمهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهذا فيه دليل على أنّ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَرسولٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بنصّ هذه الآية.

قال: **(ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله)** يعني ما معنى شهادة أن محمدًا رسول الله؟ لها معنى.

قال: **(طاعته فيما أمَر)** هذا من معاني اعتقاد أن محمدًا رسول الله، بحيث تطيعه فيما أمَر، فإذا أمَر رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**بأمر فتطيع بلا توقّف، إذا قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**افعلوا كذا فافعل؛ لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أمَر بطاعته؛ ولأنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**أخبر بأن من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

فطاعة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**من مقتضيات **(أن محمد رسول الله)**؛ ولذلك الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بطاعته؛ قال: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[الحشر:٧]، وقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: « **مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فقَدْ أَبَى**».

(وتصديقه فيما أخبر) يعني تُصدِّق بالأخبار التي أخبر بها النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من الأمور الماضية ومن الأمور المستقبلة، وغير ذلك، فتُصدِّق بما أخبر به النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؛ فهذا من مقتضيات شهادة **(أن محمدًا رسول الله)**.

(واجتناب ما نهى عنه وزجر)، الاجتناب الابتعاد عن **(ما نهى عنه)** يعني ما نهى عنه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإذا نهاك عن شيء فلا تقرب هذا الشيء.

ولذلك قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:﴿**وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾، وقال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَا نَهَيْتُكُم عنه فاجْتَنِبُوه**»؛ فهذا من مقتضيات شهادة **(أن محمدًا رسول الله)**.

قال: **(وَأَن لَا يُعْبَدَ اللَّهِ إِلَّا بِمَا شَرَعَ)** يعني يتعبَّد الله عَزَّ وَجَلَّ بشرع الله، ولا يبتدع من عند نفسه، فالعبادة لا تصح إلا بما شرع الله عَزَّ وَجَلَّ.

وأعلم أن العبادة لا تكون عبادة مقبولة مرضية عند الله عَزَّ وَجَلَّ إلَّا إذا وافقت الشرع في أمورٍ ستة:

■ **الأول: السبب:**

بحيث يكون هذا السبب قد شرعه الله عَزَّ وَجَلَّ، فمن تعبَّد لله عَزَّ وَجَلَّ بأمرٍ لم يشرعه الله عَزَّ وَجَلَّ فقد وقع في البدع وعمله مردود.

فمثلًا: مَن جعل مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب للاحتفال والتقرُّب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بالاحتفال، فهذا عمله باطل ومردود؛ لأنه جعل سبب ليس بسبب، لم يجعله الله عَزَّ وَجَلَّ سبب، ولأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعل ذلك، ولأن الصحابة لم يفعلوا ذلك، ولأن القرون المفضَّلة لم يفعلوا ذلك.

■ **الثاني: أن يوافق الشرع في الجنس:**

في جنس العبادة، فلو أن إنسانًا تعبَّد لله عَزَّ وَجَلَّ بعبادة ولكن خالف الشرع في الجنس، فإن عمله مردود.

كما لو ضحَّى مثلًا بفرس فعمله مردود؛ لأنه خالف العبادة من حيث الجنس، فالجنس الذي يُضحَّى به ويصح هو الإبل والبقر والغنم، فمن خالف الشرع في هذا فعمله مردود.

■ **الثالث: أن يوافق الشرع في القدْر:**

فمن زاد على المشروع فقد وقع في البدعة وعمله مردود؛ كمن مثلًا صلى العشاء ست ركعات؛ هذا عمله مردود؛ لأنه خالف الشرع في القدْر.

■ **الرابع: أن يوافق الشرع في الكيفية:**

فمن خالف الشرع في كيفية العبادة فقد وقع في البدعة وعمله مردود؛ فمن مثلًا:

- صلى الصلاة المفروضة ولكن سجَد قبل الركوع، فهنا عمله مردود؛ لأنه خالف العبادة في الكيفية.

- ومن توضأ وخالف ما ورد في القرآن، مثلًا ابتدأ بغسل الرجلين ثم اليدين ثم الوجه ثم مسح الرأس، فهذا يكون عمله مردود؛ لأنه خالف الكيفية.

■ الخامس: أن يوافق الشرع في الزمان:

فمن تعبَّد لله عَزَّ وَجَلَّ بعبادة في الزمن الغير مشروع فعمله مردود؛ كمن حج مثلًا في ربيع أول، خرج إلى مكة وأدَّى المناسك ووقف في عرفة ونحر هديه ثم رجع، فهذا عمله مردود؛ لأنه الزمن غير زمن العبادة.

■ **السادس: أن يوافق الشرع في المكان:**

فمن تعبَّد لله عَزَّ وَجَلَّ بعبادة في غير المكان المشروع فعمله لا يصح؛ كمن مثلًا اعتكف في البيت أو في المدرسة أو تحت شجرة، فهذا عمله غير صحيح؛ لأنه خالف الشرع في المكان، الله عَزَّ وَجَلَّ قال:﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[البقرة:١٨٧].

فهذه أمورٍ ستة.

قال: **(ودليل الصلاة والزكاة)**، **(ودليل الصلاة)** الصلاة كما تقدَّم هي من أركان الإسلام، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين، بل إن مَن ترَك الصلاة فقد دلَّ الدليل على خروجه من الدين، سواء كان ذلك كسلًا أم جحدًا.

فأما من ترك الصلاة جحدًا فقد كفر ولا إشكال في ذلك؛ لأنه كذَّب للنصوص من الكتاب والسنَّة، من قال أن الصلاة ليست بواجبة وأن الله لم يشرعها فهذا خرج من الدين إن كان مثله لا يجهل،

ومن ترك الصلاة أيضًا تكاسلًا، فعلى الصحيح: أنه يخرج من الدين، وقد دلَّ على ذلك الأدلة الكثيرة:

- قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾[التوبة:١١]فدل على أنهم إن لم يقيموا الصلاة فليسوا إخوة لنا في الدين.

- وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[مريم:٥٩]، ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعد ذلك:﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾[مريم:٦٠]فدلَّ على أنهم حال كونهم مضيِّعين للصلاة غير مؤمنين.

- وجاء في [صحيح مسلم] من حديث جابر: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقال: «**بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة**» قال شيخ الإسلام: أن "ال" هنا هي التي تدل على حقيقة الكفر، فجعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَبين الرَّجل وبين الكفر والشرك حاجز وهو الصلاة، فمن ترك هذا الحاجز خرج إلى الكفر والشرك.

- وجاء في حديث بريدة بن الحصيب في [السُّنن] أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقال: «**العهدُ الذي بينَنا وبينَهم الصلاةُ، فمَن تركَها فقد كفرَ**».

- وجاء عند [الترمذي] عن عبد الله بن شقيق التابعي أنه قال: "لم يكن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَيرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة".

ولذلك نقل إجماع الصحابة غير واحد من العلماء -منهم: إسحاق بن راهويه- أن مَن ترك الصلاة حتى لو تكاسلًا فإنه يخرج من الدين. الصلاة ليست كغيرها من الأعمال؛ لأنها لها شأن في الدين.

قال: **(والزكاة)** فتقدَّم الأقرب والله أعلم: أنه لا يكفر من تركها تكاسلًا؛ لأنه جاء في [صحيح مسلم] من حديث أبي هريرة: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَذكر من ترك الزكاة، ثم

قال: يُعذَّب في مكان...، معنى الحديث: أنه يُعذَّب في يوم قدره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار.

فقول الشيخ: "إمَّا إلى الجنة" دليل على أنه ما خرج من الدين.

قال: (ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد: قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾[البينة:٥]) يعني ما أُمر هؤلاء ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يعني ليتذللوا لله حبًّا وتعظيمًا، ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ مخلصين له التعبُّد، ﴿حُنَفَاءَ﴾ يعني مائلين عن جميع الأديان، موحِّدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾يعني يأتوا بالصلاة قائمة بأركانها وشروطها وواجباتها، ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعني يؤدُّوها إلى مستحقيها، ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ يعني ذلك الدين المستقيم المرضي عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم قال: (ودليل الصيام).

✍ **الصيام** هو ركنٌ من أركان الإسلام، وتقدَّم أن مَن تركه جحدًا فإنه يخرج من الإسلام إن كان مثله لا يجهل، ومعنى مثله لا يجهل: بحيث لا يكون جاهل؛ كمن أسلم حديثًا، أو كان في أرض خالية لم يصلها الكتاب والسُنَّة، لم يصلها القرآن؛ كمن يعيش في بادية ما سمع القرآن ولم يسمع السنَّة، فهذا مثله يجهل.

وقال: (ودليل الصيام: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾[البقرة:١٨٣]).

يعني: وجَب عليكم، وهذا دليل على أن الصيام واجب، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

قال: (ودليل الحج) يعني الدليل على أن الحج ركن.

(ودليل الحج:﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾[آل عمران:٩٧])، (ولِلَّه) اللام للاستحقاق، و(على) تدل على الوجوب وهي من صيغ الوجوب.

قال:﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧]فدلَّ على أن الحج واجب.

المتن

(المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ؛ وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

وَدَلِيلُ القَدَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾).

الشرح

قال المؤلف رحمه الله: (المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ) يعني من مراتب الدين؛ لأن المراتب ثلاثة:

-المرتبة الأولى: الإسلام، -والثانية: الإيمان، - والثالثة: الإحسان.

هذه مراتب الدين الثلاثة، قال المؤلف: (الإِيمَانُ) الإيمان لغةً هو التصديق ومنه قوله تعالى عن إخوة يوسف أنهم قالوا لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾[يوسف:١٧]يعني ما أنت بمصدِّق لنا؛ فالإيمان في اللغة هو التصديق وأمَّافي الشرع فهو إقرار القلب المستلزِم للقول والعمل، وإن

شئت أن تقول: "**الإيمان هو قولٌ باللسان وعملٌ بالأركان واعتقادٌ بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان**.

وهذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ ولذلك هذا ما أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وقد نقل الإمام الشافعي في [الأم] أن السلف من الصحابة إلى يومه **أنهم أجمعوا على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد**.

وقال البخاري رحمه الله: "**طفت الديار فلقيت ألف عالم من علماء المسلمين يقولون: أن الإيمان قولٌ وعمل واعتقاد**" فهذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

والإيمان قول، والقول هو قول اللسان، واللسان له عمل وله قول؛ فقوله: هو شهادة التوحيد، إذا قال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله"فهذا قول اللسان، وأما عمل اللسان فهو التسبيح والتهليل والذكر ونحو ذلك مما يُؤجَر عليه الإنسان.

وإقرار القلب هو التصديق الجازم بحيث أن القلب يُقِر ويُصدِّق، فيُقِر ويُصدِّق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فيعتقد هذا الشيء وهذا يُسمى اعتقاد القلب، وأما عمل القلب فهو الإخلاص والنية.

وأنواع عمل القلب كثير منها: الخوف والرجاء والمحبة والتوكل ونحو ذلك.

الثالث: عمل الجوارح مثل الصلاة والزكاة والحج هذه كلها إيمان، فالصلاة إيمان، والزكاة إيمان، والحج إيمان، والصيام إيمان، فهذا هو مسمى الإيمان؛ ولذلك من لم يعرف هذا الشيء – فقد يقع في خطأ؛ ولذلك خالف أهل السُنَّة في مسمى الإيمان المُرجِئة والخوارج والجهميةوالكُرَّامية وغيرهم من أهل البدع.

ولذلك ممن خَالَفَ أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان المُرجِئة، والمرجِئة أقسام:

← منهم من يقول: **"أن الإيمان مجرد المعرفة، إذا عَرَفَ الإنسان ربه بقلبه فهو مؤمن"** وعلى هذا القول فرعون مؤمن، وإبليس مؤمن لأن إبليس يعرف الله عز وجل﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢] وفرعون يعرف الله عز وجل قال موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[الإسراء:١٠٢] يعني أنك تعلم يا فرعون بأن هذا تنزيلٌ من الله عز وجل، فهو يعرف فرعون ولكنه تكبر.

←الثاني من المرجِئة من يقولون: أن الإيمان هو اعتقاد القلب فقط، وعلى هذا القول إذا اعتقد بقلبه فلا يخرج من الإيمان حتى يعتقد بقلبه؛ فعند وهذا النوع يوجد من المعاصرين الآن، يوجد من الناس المعاصرين من هو على هذا القول؛ فعندهم أن الإيمان اعتقاد.

وعلى هذا القول لا يخرج من الإسلام إلا باعتقاد؛ فلو دنَّس المصحف نسأل الله العافية أو سبَّ الله عز وجل أو شتم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفعندهم لا يكفر، حتى يعتقد، إذا اعتقد جواز هذا أو استَحَلَّه فإنه يكفر، أما إذا لم يعتقد فلا يكفر، ويقولون: "هذا دليل على الكفر، وليس هو كفر بذاته" فلا يُكفِّرون بالقول وأيضًا لا يُكفِّرون بالعمل، فلو سجد للصنم أو ذبح لغير الله لا يُكفِّرونه، يقولون: حتى يستحل ويعتقد؛ وهذا الاعتقاد خطير.

أما عند أهل السنة والجماعة فيقولون كما تقدَّم أن الإيمان عمل، فلو سجد لصنم كفر، إذا كان سجد لصنم يكفر، وأيضًا إذا ذبح لغير الله يكفر.

←أيضًا من المرجِئة "مُرجِئَة الفقهاء" وهم الذين يقولون: الإيمان قول واعتقاد، وليس العمل هو من مسمى الإيمان، يقولون هو شرط للإيمان؛ فهؤلاء يُسمون مرجئة الفقهاء وهؤلاء يُعظِّمون العمل ولكن لا يجعلونه من الإيمان.

والصحيح أن العمل من الإيمان لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سمَّى العمل إيمان، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُم﴾[البقرة:١٤٣]وهذا لما جاء الصحابة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَبعد أن حُوِّلَت القبلة، قالوا: "يا رسول الله إن لنا إخوان كانوا يصلون إلى بيت المقدس، فكيف صلاتهم؟" فأنزل الله عز وجل هذه الآية﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣]؛ فينبغي أن يتنبه الإنسان أن الإيمان قول؛ فقول: لا إله إلا الله إيمان.

وينتقض الإيمان أيضًا بالقول، فلو استهزأ بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَأو استهزأ بالدين أو استهزأ بالله عز وجل فإنه يكفر؛ لأنه نَقَضَ الإيمان، وأيضًا الإيمان اعتقاد؛ فلا بد أن يعتقد حتى يُؤمِن، فلو نقض هذا الاعتقاد بأن يعتقد أن غير الله يعلم الغيب أو يعتقد أن غير الله يخلق أو أن هناك غير الله يُعبَد بحق؛ فهذا ينقض الإيمان.

أيضًا الإيمان عمل فلا بد من العمل، فمن لم يأتِ بجميع الأعمال بحيث ترك جميع أعمال الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصيام وجميع أعمال البر؛ فهذا ليس بمؤمن، وهذا ليس على ملَّة الإسلام لأنه ترك ركن من أركان الإيمان، وعلى هذا الإيمان عمل، فإذا نقض الإيمان بعمل فإنه يخرج من الدين؛ فلو سجد لصنم أو ذبح لغير الله أو نحو ذلك فإنه يخرج من الإيمان بهذا العمل، ولا نقول: "ننتظر حتى يعتقد" بل نحكم عليه بالكفر ظاهراً.

أمَّا إن كان مُكرَه أو نحو ذلك فهذا بينه وبين الله عز جل، لكن ما كان ظاهر لنا فنحكم عليه بما حصل منه؛ ولذلك يُنتَبه لهذا الشيء؛ لأنَّ الإيمان لا بد أن يُعرَف أنه قول وعمل ونية أو اعتقاد، لا بد، ولا بد أن يعتقد أنه قد ينتقض الإيمان بسبب فعل أو بسبب اعتقاد أو بسبب قول؛ ولذلك الله عز جل قال:﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾[التوبة:٧٤]فسمَّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكلمة كفر.

فيُنتبه لهذا الشيء؛ ولذلك المؤلف ذكر هذه المراتب في هذا الباب قال: **(وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً)**البضع هو من الثلاثة إلى التسعة، **(وسبعون شعبة)** يعني جزء، فالإيمان بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، **(أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)** هذا قول وهذا من الإيمان، **(وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)**وهذا عمل، والإماطة هي إزالة الأذى عن الطريق كالأشواك وما يُؤذي الناس.

(وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) الحياء عمل قلبي، ففي هذا الكلام من المؤلف رحمه الله فيه أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، فدليل القول أنه قال **(أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**ودليل العمل قوله **(إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)** الإماطة عمل وهو إيمان، ودليل الاعتقاد**(وَالحَيَاءُ)** والحياء عمل قلبي، والحياء هو انفعالٌ يكون في النفس عند فعل ما لا يُجمِّل، فيستحي الإنسان؛ وقد يكون الحياء من الله عز وجل وقد يكون من خلقه

أما الحياء من الله فهو أن تستحي أن يراك الله عز وجل فيما لا يُرضيه، كأماكن المعاصي والذنوب فتستحي، وأيضًا تستحي من الله عز وجل ألَّا يراك في الأماكن التي أمرك أن توجد فيها كالمساجد للصلاة وكالصيام مع الصائمين والحج مع الحجاج ونحو ذلك؛ فتستحي ألا يراك الله عز وجل معهم.

وأما الحياء من الناس فهو ألَّا تفعل خوارم المروءة، مثلًا الجلوس في الشوارع وأن ينام فيها، وهذا حسب عادة الناس، الذين أنت تعيش معهم، فإن كان هذا يخرم المروءة عندهم فلا تفعله، فمثلًا عندنا في هذه الأماكن يعني النوم في المجالس مثلًا، يأتي إلى المجلس وينسدح والناس جلوس حوله؛ هذا من خوارم المروءة.

أيضًا لو جلس في الأسواق مثلًا وأكل الحب وكشف رأسه ويمشي بين الناس؛ هذا من خوارم المروءة عندنا في عاداتنا، على حسب عادات الناس هناك؛ فيسمى خوارم المروءة.

فالمقصود أن الإيمان ثلاثة أشياء: قول وعمل واعتقاد، فلو قال قائل: إن الإيمان اعتقاد فقط هل قوله صحيح؟ الجواب: لا؛ لأن هذا يترتب عليها أشياء؛ ما يصح أن يُقال: "أن الإيمان اعتقاد فقط"؛ لأن هذه الثلاث كلها من الإيمان؛ وقد دلَّت الأدلة الكثيرعلى أن هذه الثلاث من الإيمان؛ ولذلك الله عز وجل سمى الصلاة إيمان، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة:١٤٣].

وسمَّى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقول: "لا إله إلا الله" إيمان، «قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ».

والاعتقاد إيمان؛ ولذلك سيأتينا في حديث جبريل إن شاء الله قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَلما سأله جبريل: «ما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره"» وهذه كلها في القلب؛ فدلَّ على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل.

قال: (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ) أركانه التي لا يقوم إلَّا بها، وذلك أن الإيمان له أركان وهي ستة، فإذا فقد منها واحد خرج الإنسان من الدين، وله شُعَب وهي بضع وسبعون شعبة، فإذا فُقِدَ منها شيء ضَعُفَ الإيمان، ولا يخرج الإنسان من الدين.

وعلى هذا لو كفر الإنسان بالملائكة مثلًا، فهذا خرج من الدين، ولو أن إنسانًا مثلًا قَصَّرَ في بر الوالدين، بر الوالدين إيمان؛ فهذا لا يخرج من الإيمان، ولو أن إنسانًا مثلًا ترك الحياء هذا يضعف إيمانه ولكن لا يخرج من الإيمان؛ لأنه ما ترك ركن.

إذن أركان الإيمان ستة، وهي التي إذا فقد منها شيء خرج الإنسان من الدين وهي (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)وشُعَب الإيمان كثيرة؛ ولذلك جاء في الحديث أنها «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً»فإذا فُقِدَ شيء منها دون الشهادة فإنَّ الإنسان

لا يخرج من الإيمان، فلو ترك بعض شعب الإيمان التي ليست من الأركان فلا يخرج الإنسان من الدين.

ولذلك مثلًا إذا فعل الإنسان شيء من المعاصي يبقى على الإيمان؛ فمن شرب الخمر مثلًا أو زنى أو سرق فإنه مؤمن، ولكن عنده فسق، يعني إذا فعل هذه الكبيرة فإنه يُطلَق عليه أنه مؤمن ولكنه فاسق بكبيرة أو يُقال عنه: "مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته" كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال المؤلف رحمه الله: **(وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ)** الركن في اللغة هو جانب الشيء الأقوى قال: **(ستة)** أن تُؤمِن بالله، وهذه الأركان كما تقدَّم هي التي إذا فُقِدَ منها شيء خرج الإنسان من الدين.

قال: **(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ)**والإيمان بالله عز وجل يشمل أربعة أمور:

←الإيمان بوجوده، ←الثاني: الإيمان بربوبيته سبحانه، ←الثالث: الإيمان بأسمائه وصفاته، ←الرابع: الإيمان بألوهيته سبحانه.

قال: **(وَمَلَائِكَتِهِ)**وأيضًا الإيمان بالملائكة يتضمن أمور:

←الأول: الإيمان بوجوده، ← الثاني: الإيمان بصفات من عرفنا منهم، ← الثالث: الإيمان بأسماء من عرفنا منهم، ←الرابع: الإيمان بأعمال من عرفنا منهم.

قال: **(وَكُتُبِهِ)**أيضًا الإيمان بكتب الله عز وجل من أركان الإيمان، فالإيمان بالكتب أن تعتقد أن الله عز وجل أنزل كتب والإيمان بها جملةً وتفصيلًا، **فأمَّا في الجملة** فتؤمن بأنَّ الله عز وجل ما بعث رسول إلا وأنزل معه كتاب، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[البقرة:٢١٣]هذا في الجملة.

الثاني: التفصيل بحيث أن تؤمن بما عرفت من هذه الكتب؛ فتؤمن بالقرآن وبالتوراة وبالإنجيل وبالزبور ونحو ذلك، فما عرفت من هذه الكتب فتؤمن به على التفصيل.

قال: **(وَرُسُلِهِ)** وأيضًا الرسل تُؤمِن بهم في الجملة وتؤمن بهم على التفصيل:

- فتؤمن أن الله عز وجل ما من أمة إلا وقد بعث إليها رسول، كما قال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]فتُؤمِن بهذا الشيء.

- الثاني: الإيمان المفصَّل، فتُؤمِن بمن عرفت، فتُؤمِن بمحمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وإبراهيم وموسى وعيسى ومن عرفت من أنبياء الله عز وجل ورسله، هذا على التفصيل، وأيضًا تؤمن بأنهم صادقون وتؤمن بأنهم مُرسَلون من الله عز وجل.

قال: **(وَاليَوْمِ الآخِرِ)** اليوم الآخر هو ما بعد الموت، فيشمل الاحتضار وفتنة القبر وما يكون يوم القيامة والجنة والنار؛ فهذا داخل في اليوم الآخر، وسُمِّيَ اليوم الآخر لأنه لا يوم بعده، والإيمان باليوم الآخر يشمل أمور: تؤمن بأن الله عز وجل أخبر بما يكون يوم القيامة في عرصات القيامة والجنة والنار وتؤمن بفتنة القبر وعذاب القبر ونعيم القبر ونحو ذلك.

قال: **(وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)**القدر هو ما قدَّره الله عز وجل في الأزل أن يكون، بحسب ما سبق به علمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** واقتضته حكمته، فتؤمن أن ما من شيء إلا والله عز وجل قدَّره.

ومن حيث تقسيم القدر ينقسم إلى أربعة أقسام:

←الأول: ما يختص بالرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، يعني ما يختص بالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**وهو على أربع مراتب:

- المرتبة الأولى: أن تعتقد أن ما من شيء إلا وقد علمه الله عز وجل أزلًا وأبدًا، وتعتقد أن الله عز وجل يعلم الأشياء في القِدَم الذي لا بداية له وفي الأزل الذي لا نهاية له ويعلم الأشياء جملةً وتفصيلاً، تعتقد أنه يعلم الأشياء الصغيرة والكبيرة، الذرات الصغيرة التي لا تُرَى بالعين والأشياء الكبيرة والأشياء الظاهرة والأشياء الباطنة، فتعتقد أن ما من شيء إلا والله عز وجل يعلمه.

وأيضًا تعتقد أن علم الله عز وجل واسع فلا يخفى عليه شيء – عز وجل – في السماء ولا في الأرض ولا في الماضي ولا في المستقبل ولا الشيء الذي لم يقع لو وقع كيف يكون؛ الله عز وجل يعلمه فتعتقد بهذا الشيء، وأيضًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم أعمال العباد ويعلم أفعاله – فلا يخفى عليه الشيء – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالله عز وجل يعلم كيفية صفاته ويعلم أسماؤه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والخلق ما يحيطون بكيفية صفات الله عز وجل وأيضًا يعلم العباد ويعلم أعمالهم ونياتهم ويعلم أهل الجنة من أهل النار، فكل هذا عند الله عز وجل علمه؛ ولذلك من أوسع الصفات علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بل إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم الشيء الذي لا يمكن أن يكون لو كان كيف يكون.

- الثانية: أن تعتقد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؛ ولذلك جاء في صحيح المسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قَدَّرَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». وفي حديث عبادة أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: »خَلَقَ رَبِي الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ: لَهُ اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

فتعتقد أن ما وقع وما سيقع وما وقع ومضى فهو مكتوب.

- أيضًا الثالث: أن تعتقد أن ما في الكون من شيء وقع أو سيقع أنه بمشيئةالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فما يمكن أن يقع شيء في الكون إلا والله عز وجل قد شاء ذلك، لا بد من هذاالاعتقاد، ما يمكن أن يخرج شيء عن مشيئة الله سواء كان المعاصي أو الطاعات أو الذنوب أو الحسنات، هذه الأشياء كلها قد شاءها الله عز وجل أن تقع، فالطاعة قد شاء الله عز وجل أن تقع وأيضًا المعصية قد شاء الله عز وجل أن تقع لحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك لما قيل لأحد السلف: هل يريد الله عز وجل المعاصي؟ قال: أرادها ولم يُرِدها، قال: كيف ذلك؟ قال: أرادها كونًا ولم يُرِدها شرعًا، الله عز وجل أراد المعاصي كونًا لحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لما تقتضيه حكمته من وجود الحسنات والسيئات ووجود الأمر بالمعروف ووجود الجهاد ووجود الإيمان والكفر وأهل الجنة وأهل النار هذا شاء الله عز وجل كونه، وأمَّا شرعًا فإن الله عز وجل لا يحب المعاصي ولا يريدها شرعًا أن تقع، لا يحب الله عز وجل المعاصي.

- أيضًا الرابع/ أن تعتقد أن ما في السموات والأرض من مخلوق أن الله عز وجل خالقه، فما من شيء في الأرض ولا في السماء مخلوق إلا والله عز وجل خالقه، وليس هناك إلا خالق ومخلوق؛ فالخالق هو الله عز وجل وما سوى الله عز وجل مخلوق؛ العباد وأفعالهم وما يصنعون كل هذا مخلوق.

أيضًا القسم الثاني من أقسام ما يقسَّم عليه القدر: ما يتعلق بالإنسان، يتعلق بالمكلَّف، وذلك أن أفعال المكلَّف تنقسم إلى قسمين:

- الأول: أفعال اختيارية، بالنسبة للإنسان أو الجن أو الإنس أفعالهم منها اختيارية، وهي التي يفعلها الإنسان أو المكلف باختياره فهذه يُحاسَب عليهم، فمَن مثلاً صلَّى هذا باختياره،

يختار الشيء هذا، ليس هناك أحد يجبر الإنسان حتى يدخل المسجد، ما يأتي الإنسان بحبال حتى يُدخِله المسجد، وأيضًا يُحاسَب على المعاصي، فمن زنا أو سرق أو شرب الخمر فإنه يُحاسَب، لا أحد أجبره على هذا الشيء، ما أحد أخذه بحبال ووضعه على هذه المعصية.

ولكن لا بد أن تعتقد أن الإنسان لا يمكن أن يشاء شيء ويختاره إلا وقد شاء الله عز وجل هذا الشيء أن يقع، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الإنسان:٣٠]فإذا شاء العبد شيء وأراده وفعله فاعلم أن الله عز وجل قد شاءه وأراده وقدَّره.

القسم الثاني ممَّا يختص بالمكلَّف: الأفعال الاضطرارية، فهذه لا يُحاسَب عليها العبد مثل ما لا اختيار للمكلف فيه فمثلًا: الارتعاش الآن، لو أصيب الإنسان بارتعاش في بدنه هذا لا يُكلَّف عليه العبد ولا يُطالَب أن يُبعِده عن نفسه ولا يحاسب عليه، وأيضًا لو مثلًا الإنسان يمشي في طريق فاصطدمت به السيارة فمات، ما نقول هذا الرجل انتحر، لا؛ لأنه بغير اختياره، وأيضًا لو كان الإنسان مثلًا في طريق فلدغته عقرب مثلاً فمات؛ فهذا لا يُحاسَب؛ لأن هذه تسمى أفعال اضطرارية.

ولو كان الإنسان مثلًا يمشي في مكان فسقط في بئر فمات؛ فهذا لا يحاسب عليه؛ لأن هذا يسمى أفعال اضطرارية.

القسم الرابع من أقسام ما يتعلَّق بالقدر: ما نهي عنه في الخوض في القدر، ما نهي عنه أن يُخَاض فيه وهو أن يعترض الإنسان أو المكلَّف على حكمة الله فيقول مثلًا: لما خلق الله كذا؟ لما جعل الله للجنة أهل وللنار أهل؟ لما جعل الله أهل النار خالدون فيها؟ لما هدى الله فلان

وأضل فلان؟ لما مات فلان على الإسلام ومات فلان على الكفر؟ لما أعطى الله عز وجل فلان مال وحرم فلان؟ لماذا عزَّ الله فلان وأذلَّ فلان؟ فهذا لا يجوز، وهذا مما يُنهَى عنه.

ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَذَّرَ من الخوض في القدر في الباطل؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له في خلقه حكم وأسرار، فهذا سر الله عز وجل في خلقه؛ ولذلك إذا خاض الإنسان في هذا فإنه يضل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأصل ضلال الخلق من كل فرقةٍ هو الخوض في فعل الإله بعلةٍ؛ لأنهم لم يعلموا له حكمة فكانوا في نوعٍ من الجاهلية" فإذا خاض الإنسان بالباطل في القدر فإنه يضل؛ لأن الله عز وجل له حكمة تخفَّى على الخلق.

القسم الرابع من أقسام ما يتعلق بالقدر: تعلُّم القدر، يعني علم القدر فهذا جائز الخوض فيه بل إنه مستحب مثلًا: يعرف حكمة كذا أو أنواع القدر أو مراتب القدر أو درجات القدر؛ فهذا جائز التعلم، بل هو مستحب.

- فمثلًا لو سأل سائل مثلاً ما الحكمة مثلًامن صيام الاثنين والخميس؛ فيُخبَر بالحكمة مثلًا إذا كان الإنسان يعلم، أو ما هو الحكمة في نقض الوضوء من لحم الإبل فيُخبَر الإنسان بهذا الحكمة إذا عُرِفت وهكذا، فهذا جائز الخوض فيه.

وقول المؤلف رحمه الله: (وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) الخير هو ما يلائم الإنسان، ما يلائم الإنسان هذا خير، والشر هو ما لا يلائم الإنسان، والشر ليس في فعل الله بل هو في مفعول الله فمثلًا: تقدير الله عز وجل خير، كله خير، وأمَّا المفعول المخلوق المنفصل عن الله عز وجل فمنه خير ومنه شر، فمثلاً إذا قدَّر الله عز وجل الصحة لشخص؛ فهذا من حيث فعل الله خير ومن حيث وقوعه على الشخص خير.

- الصحة مثلًا القوة في البدن والنشاط من حيث فعل الله عز وجل خير، ومن حيث وقوعها على هذا المخلوق خير.

والشر في المفعول أما فعل الله عز وجل فهو خير فمثلاً المرض من حيث تقدير الله عز وجل له وإيقاعه هذا خير، لأن الله عز وجل أوقعه على هذا العبد لحكمة، وأما من حيث وقوعه على العبد فهو شر.

فمثلاً السرطان الآن بالنسبة لوقوعه على الإنسان شر وأما بالنسبة لفعل الله فهو خير؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدَّرهُ لحكمة، وهذه الحكمة قد يعلمها الناس وقد يجهلونها، فمن الحكمة في تقدير هذا المرض أنه خير لمن رآه، فإذا رآه المعافى قال: "الحمد لله الذي عافاني" فيُكثِر من شكر الله عز وجل.

وأيضًا من الخير أن هذا الإنسان الذي يرى هذا المريض يعرف أن لله عز وجل عليه نعمة؛ فيُكثِر من طاعة الله عز وجل، وأيضًا قد يكون خير لهذا المصاب، فقد يصاب الإنسان بمرض فيكون سبب في توبته ورجوعه إلى الله عز وجل؛ فيكون خير بالنسبة له.

وقد يكون أيضًا خير بالنسبة له كما لو كان عنده ذنوب فأُصيب بهذا المرض فكُفِّرَت هذه الذنوب قبل أن يموت عليها، فهو خير عظيم، وأيضًا خير لأنه قد يكون سبب لأن يُعافَى مثلاً فيذكر نعمة الله عز وجل عليه فيتوب ويستمر على الطاعة؛ فتقدير الله عز وجل كله خير؛ ولذلك لما جاء في الحديث قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والشر ليس إليك».

قال المؤلف رحمه الله: (وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

﴿وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾) في هذه الآية الكريمة فيها الأركان الستة وهي الإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر والكتاب والنبيين.

قال: (وَدَلِيلُ القَدَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾)فهو دليل على القدر، ويُنبَّه: أن الإيمان قد يكون مجمل وقد يكون مفصَّل، يعني الإيمان بهذه الأركان الستة قد يكون مجمل وقد يكون مفصَّل؛ فالأول الإيمان المجمل فهذا يكفي في دخول الإنسان في الإسلام، فمن آمن بالله عز وجل أنه لا إله إلا هو وأنه الخالق الرازق وأنه له الأسماء الحسنى والصفات العُلى فهذا يكفيه على الإسلام، ومن آمن بأن الله عز وجل خلق الملائكة وأن الملائكة عباد مُكرَمون لا يعصون الله عز وجل فهذا يكفي على الإسلام.

ومن آمن بأن الله عز وجل أرسل رسل وأنزل كتب إجمالًا فإن هذا يكفيه.

أيضًا القدر إذا آمن أن ما من شيء يقع إلا وقد قدَّرهُ الله عز وجل وكتبه وأن الله عز وجل يعلم فهذا يكفيه وأن أفعال العباد بقدرة الله ومشيئته فهذا إجمالًا.

أيضًا الإيمان باليوم الآخر فيُؤمِن أنَّ هناك يوم يُحاسَب فيه الناس ويُبعَثون فهذا يكفيه، وهذا قد يكون من عامة المسلمين، أمَّا التفصيل فهو لكل من عَلِم، فمن زاد علمه وجب عليه أن يؤمن.

فمن عرف التفصيل في صفات الله عز وجل ومعاني الصفات فإنه يجب عليه أن يعتقد، وقد لا تجد هذا التفصيل، عند بعض عوام المسلمين لا تجد هذا التفصيل، وأيضًا بالنسبة للملائكة والرسل فيُؤمِن على التفصيل، فقد تجد عالم من العلماء عنده علم باسم بعض الملائكة ولا يعرفه هذا العامي؛ فهذا العالم يجب عليه أن يؤمن، فمثلًا:

ميكائيل: قد يوجد من عامة المسلمين لا يعرف ميكائيل لكن يؤمن أن الله عز وجل خلق ملائكة، وأما العالم مثلًا يعرف الدليل أن الله عز وجل خلق ملك من الملائكة اسمه ميكائيل؛ فهنا يجب عليه الإيمان.

وأيضًا بالنسبة للكتب فقد تجد أن عامي من عامة المسلمين يعتقد أن الله عز وجل أنزل القرآن وأنزل الكتب لكن لا يعرف مثلًا صحف إبراهيم، فهنا يجب عليه الإيمان إجمالًا، أمَّا العالم فيجب عليه الإيمان بهذا الكتاب، وهكذا في الرسل وهكذا في اليوم الآخر وهكذا في القدر.

فمن عَلِم فيجب عليه أن يعتقد إذا ثبت عنده الدليل.

المتن

(المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ -رُكْنٌ وَاحِدٌ-، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآيَةَ.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ المَشْهُورُ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جلوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ،

حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ -فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ-

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ.

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيّاً، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».).

الشرح

قال المؤلف رحمه الله: **(المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ)** يعني من مراتب الدين، وتقدَّم أن المؤلف قال: "أن المراتب ثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان" وهذه الدرجة هي أخص من

حيث أصحابها فهي أخص؛ لأنَّ كل محسِنٍ فهو مؤمن ومسلم، إذا كان محسن فهو مؤمن ومسلم قبل ذلك، وليس العكس، قد يكون الإنسان مؤمن ولكن لا يصل إلى درجة الإحسان، وقد يكون الإنسان مسلم ولكن عنده ضعف في الإيمان، فلا يُطلَق عليه الإيمان المطلَق فهذه الدرجة أخص.

قال: **(الإِحْسَانُ -رُكْنٌ وَاحِدٌ-)** المؤلف رحمه الله ذكر أن الإحسان ركن واحد، وهذا ما ذهب إليه المؤلف رحمه الله وهو الأقرب والله أعلم، ومن العلماء من قال: أن الإحسان له ركنان:

- الركن الأول: أن تعبد الله كأنك تراه، -والركن الثاني: إن لم تكن تراه فإنه يراه، والأقرب أن الإحسان ركن واحد وهو على درجتين، هذا هو الأقرب والله أعلم، وهو على درجتين.

قال: **(وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)** وهذا هو الذي فسَّر به النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الإحسان ولا أوضح من تفسير النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قال: **(وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ)** وهذه منزلة المشاهدة بحيث أن الإنسان يتعبد لله كأنه ينظر إلى الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ فيكون عنده خشية لله عظيمة ويكون متقِن للعمل، بالغ الإتقان للعمل، فإذا وصل إلى هذه الدرجة فإنه سيُتقِن العمل، فلا ينظر إلى الناس ولا ينظر إلى شهوات نفسه؛ بل تكون أعماله الله عز وجل؛ فهذه أعلى درجة بحيث أن الإنسان يعبد الله عز وجل كأنه يراه.

قال: (فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) وهذه الدرجة الثانية بحيث أنَّك إذا ما وصلت إلى أن تعبد الله كأنَّك تراه فعليك أن تخشى الله وتعتقد أنه يراك، وهذه درجة الهرب، بحيث أن الإنسان يعبد الله عز وجل خائفًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فلا يفعل العمل إلا وهو يستحضر في قلبه أن الله عز وجل مطلع عليه، وهذه درجة من درجات الإحسان عالية.

والإحسان قد يكون مع الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعني يُحسِن مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإحسان مع الله عز وجل هو أن تعبد الله عز وجل كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وأيضًا من الإحسان مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن تصف الله عز وجل بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تكييفٍ ولا تمثيل، ومن غير تحريفٍ ولا تعطيل، وأيضًا تُوحِّد الله عز وجل بعبادته فلا تُشرِك معه أحد.

وأيضًا ترضى بقضاء الله وقدره فلا تَعتَرِض، وأيضًا تؤدي الواجبات وتنتهي عن المحرمات وما أشبه ذلك فهذا من الإحسان مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقد يكون الإحسان مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإحسان مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تُصدِّقه فيما أخبر وتجتنب ما نهى عنه وزجر وأن تعبد الله عز وجل بما شرع وأن تُوقِّر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحترمه وأن تُقدِّم قوله عليه الصلاة والسلام على قول كل أحد، فإذا ورد عندك القول من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فتأخذ به لو خالفك من خالف؛ فهذا من الإحسان مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد يكون الإحسان مع الخلق كالإحسان مع الوالدين والإحسان مع الجار والإحسان مع باقي المخلوقات، حتى قد يكون الإحسان مع الملائكة، فالإحسان مع الملائكة كالكرام الكاتبين بحيث ألا تفعل المعاصي وهم يرونك؛ فالإنسان عليه ملكان يكتبان أعماله فلا تُملي عليهم ما يكون سبب في ما يكرهوه؛ ولذلك: الله عز وجل سماهم كرام كاتبين؛ فهم كرام بحيث لا تفعل المعاصي ولا تقول الكلمات التي يكرهونها؛ لأنهم كرام.

أيضًا الإحسان مع الوالدين ببرهما والتلطف في الكلام معهما ونحو ذلك، وقد يكون بالفعل والقول والجاه ونحو ذلك.

وأيضًا الإحسان مع الجار بحيث لا تؤذي الجار ولا يقع منك أذى لا فعلي ولا قولي.

أيضًا الإحسان مع باقي المخلوقات كالإحسان في الذبح، إذا أراد الإنسان أن يذبح ذبيحة فيُحسِن لها، وأيضًا الإحسان مع الذين يُقتَلونه، حتى لو كان الذي يُراد قتله كافر، حتى لو كان مرتد وأردت أن تقتله فتقتله بقتلة حسنة، ولا تُمثِّل به ولا تجدع أنفه ولا تقطع أُذنيه وتقطع لسانه فهذا لا يجوز، بل تُحسِن القتلة بحيث تضربه بالسيف كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَدَّلَ دينهُ فَاقْتُلُوه».

وأيضًا الإحسان مع باقي المخلوقات الآن مثلًا: أُمِرَ بقتل الوزغ، أُمِرَ بقتله بل إنه يُستَحَب قتله والإنسان يُؤجَر، هذا على أنه يُستَحَب قتله فالإنسان لا يقتله تعذيبًا، بحيث يقطع يده ويسلخ جلده ونحو ذلك وهو حي؛ هذا لا يجوز بل يُقتَل بقتلة حسنة، وأيضًا بعض المخلوقات يجوز قتلها فمثلًا الفأرة يجوز قتلها بل أُمِرَ بقتل الفأرة، ولكن لا يضع الإنسان مثلًا اللزق، يضع هذا اللزق ثم يجعل هذه الفارة تأخذ يوم أو يومين وتموت من الجوع والعطش؛ هذا لا يجوز لأن هذا ليس من إحسان القتلة.

وأيضًا قد يكون الإحسان مع النفس، تُحسِن لنفسك، كيف ذلك؟ تُحسِن لنفسك بألَّا تُعرِّضها لغضب الله، لا تُعرِّض نفسك لغضب الله، فلا تترك ما أمرك الله عز وجل به ولا تأتي ما نهاك الله عز وجل عنه، فإن فعلت ذلك فأنت محسن لنفسك أما إذا عصيت وشربت الخمر وتركت الصلاة وعققت الوالدين وزنيت ووقعت في المحرمات؛ فأنت أسأت لنفسك.

لذلك الإنسان إذا عصى ما يُسيء إلا لنفسه كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[الإسراء:٧]فإذا أحسنت فأنت تُحسِن لنفسك وإذا أسأت فأنت تُسِيء لنفسك، الله عز وجل يقول: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[الإسراء:١٥]فلو أن أهل الأرض جميعًا أطاعوا الله عز وجل وعصيت أنت؛ فأنت المسيء وحدك، تُسِيء لنفسك، لا تسيء لهؤلاء.

فالإنسان العاقل عليه أن يُحسِن لنفسه بحيث يطيع الله عز وجل ورسوله ولا يعصي الله عز وجل ولا رسوله.

قال المؤلف رحمه الله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾)الدليل على درجة الإحسان قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾والمعية هنا هي معية النصرة والمحبة والتوفيق؛ فالله عز وجل مع الذين اتقوا بالنصرة والتأييد والهداية فهو معهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يهديهم ويُسدِّدهم ويُوفِّقهم ونحو ذلك مما تقتضيه معيته الخاصة.

وقوله: ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾"اتَّقوا " يعني جعلوا بينهم وبين عذاب الله عز وجل وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه، والتَّقوى هي فعل الأوامر واجتناب النواهي، فعل الأوامر واجتناب النواهي بحيث أن الإنسان يجعل بينه وبين عذاب الله وبين وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ هذه هي التَّقوى، فإذا فعلت ذلك فأنت من المتقين وهو من أسباب أن الله عز وجل يكون معك؛ فيُسددك ويعصمك من الشبهات والشهوات ومن كان الله عز وجل معه فلا غالب له.

حتى لا تغلبه نفسه أيضًا، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينصره على نفسه، إذا أرادت الشهوات فالله معه ينصر على نفسه؛ ولذلك جاء في الصحيح في حديث أبي هريرة قال: «وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذا أَحْبَبْتُه كُنْتُ عَينَه الَّتِي يُبْصِرُ بِهَا، وَأُذُنَهُ الَّتِي يَسْمَعُ بها، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَفُؤَادَهُ الَّذِي

يَعقِلُ بِه، وَلِسَانَهُ الَّذي يَتَكَلَّم بِه، إِنْ دَعَانِي أَجَبْتُه، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيتُهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ وَفَاتِه، وَذَاكَ لأَنَّهُ يَكْره الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه»بحيث أن الله عز وجل يُسدده في هذه الجوارح، فلا ينظر إلا لما يُرضي الله ولا يسمع إلا لما يُرضي الله ولا يبطش بيده إلا لما يُرضي الله ولا يمشي بقدمه إلا فيما يُرضي الله؛ فيكون مسدَّد.

قال: ﴿وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾وهذا موضع الشاهد أن الله أيضًا مع الذين أحسنوا معية خاصة تقتضي النصرة والحب وما أشبه ذلك من معية الله عز وجل الخاصة.

قال المؤلف رحمه الله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾)﴿وَتَوَكَّلْ﴾ يعني فَوِّض أمرك واعتمد عليه، ﴿الْعَزِيزِ﴾يعني الذي لا غالب له، وعزة الله عز وجل ثلاثة أنواع:

←عزة امتناع فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يمتنع أن يصل إليه أحد؛ فهو العلي العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

← وعزة القهر؛ فجميع المخلوقات مقهورة ذليلة فقيرة إلى الله عز وجل.

←وعزة القوة؛ فله القوة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المنتهية؛ فالله عز وجل على كل شيء قدير لا يُعجِزه شيء، وقوة الله عز وجل لا تُدرَك بالعقول؛ فهو في منتهى القوة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولذلك الله عز وجل على كل شيءٍ قدير، ولذلك جاء في الحديث عند

المسلم من حديث أبي ذر قال: «يَا عِبَادِي؛ إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُواْ ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُواْ نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ؛ كَانُواْ عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي؛ لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ؛ كَانُواْ عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا» فلن يستطيع أحد أن يبلغ إلى الله عز وجل.

قال: ﴿الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾الرحيم على صيغة فعيل، وهذه الرحمة الخاصة، الله عز وجل رحمن ورحيم، رحمن لجميع الخلق وهذه في الدنيا للمؤمن والكافر وفي الآخرة للمؤمن فقط، والرحيم خاصة بالمؤمنين.

قال: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ "الذي يراك" يعني يُبصِرك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى "حين تقوم" يعني حين تقوم تصلي وحدك، الله عز وجل مطلع عليك، وهذا الخطاب موجه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدخل فيه غيره من الناس، فإذا قام الإنسان يتهجد ويصلي في الليل فإن الله عز وجل يراه، يتقلب في الليل والله عز وجل يراه مطلع عليه، وهذا فيه تسلية للإنسان أنه إذا قام يصلي أو أطاع الله عز وجل ولا يراه أحد فليستشعرأن الله عز وجل يراه؛ وهذا من درجة الإحسان.

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾يعني حين تتقلب مع المصلين في صلاة الجماعة فالله عز جل يراك، وفيه أن الله عز وجل يراك إذا كنت وحدك وإذا

كنت مع الناس، وهذا فيه أن الإنسان يستشعر أن الله عز وجل يراه سواء كان وحده أو كان مع الناس؛ فالله عز وجل يراك ومُطلع عليك ويعلم ما في قلبك ويدور في خاطرك.

قال: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ - إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الشعراء:٢١٩-٢٢٠] هو السميع لكل مسموع؛ فالله عز وجل لا يعزب عن سمعه شيء في السماوات والأرض ويسمع الخلق جميعًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا تختلط عليه الأصوات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿الْعَلِيمُ﴾ يعني العليم بخلقه الذي لا يخفى عليه شيء، الذي وسع علمه كل شيء، وموضع الشاهد قوله: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾فالله عز وجل مُطَّلِع عليك فعليك أن تعبد الله عز وجل كأنك تراه.

قال: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾) "ما" تدل على العموم ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ يعني في، أي أمر كما تقدَّم أن "ما" تدل على العموم فيدخل فيه أي أمر، أي أمر تعمله فالله عز وجل مطلع عليه.

قال:﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾أيِّ عمل؛ لأنَّ عمل هنا نكرةوهي تدل على العموم، ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾يعني مراقبين لكم نراكم ونعلم ما في قلوبكم، وما هو هذا الشأن، ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾يعني إذ تدخلون فيه فتعملون، وهذا موضع الشاهد: أنه ما من عمل يعمله الإنسان أو يعمله الناس إلا والله عز وجل مطلع عليه يراهم حين

يعملون، وهذا فيه أنك تعبد الله عز وجل كأنك تراه؛ فتخشى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ففيه الدليل على درجة الإحسان.

ثم قال المؤلف: (وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جلوسٌ») "بينما"ظرف زمان يعني في وقتٍ من الأوقات "بينما نحن جلوس"يعني كوننا جالسين.

«عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »يعني كنا حول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعندية تدل على القرب من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِذْ» وإذ فُجائية يعني خرج علينا فجأة، «إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ»رجل نكرة، ما ذُكِرَ هذا الرجل اسمه.

قال: «شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ»يعني أن ثيابه ناصعة البياض ليس عليها غبار ولا نحو ذلك مما يكون على المسافر.

«شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ»أي أنه شاب لم يأتِ فيه الشيب، «لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ» يعني ما ننظر عليه أنه أتى من سفر بعيد، وذلك أن الناس في السابق كانوا يأتون في الغبار والشمس وعلى الرواحل فيؤثر السفر على الإنسان بحيث يُعرَف في وجهه أنه مسافر من أثر الغبار وأثر الشمس والتعب، وهذا الرجل لا يُرَى عليه هذا الشيء، لا يُرَى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، يعني ما يعرفه أحد من الجلوس عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » يعني قرب من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفجلس إليه كأن له حاجة، قال: «فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ»يعني أسند رُكبَتَيْ نفسه إلى رُكبَتَيْ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ»يُحتَمَل أنها فَخِذَيْ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُحتَمَل أنها فَخِذَيْ نفسه وهو الأقرب والله اعلم أنها فخذي نفسه، وقد جاء في رواية أنه وضع يديه على فخذي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن هذه الرواية لا تثبت، ولو ثبتت لكان هو الصحيح، ولكن الرواية لا تثبت؛ ولذلك يُحمَل على أنه وضع كفيه على فخذي نفسه وذلك أن هذا من أدب المتعلم.

من أدب المتعلم أن يضع يديه على فخذي نفسه.

«وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ»نادى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَباسمه العلم، وقد نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينادى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَبهذا الاسم مجردًا بحيث لا يُقَال: "يا محمد" بل على الإنسان أن يقول: "يا رسول الله، يا نبي الله" ولذلك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[النور:٦٣]يعني لا تقولون: "يا محمد تعال أريدك" لا، لا بد أن تقول: "يا رسول الله، يا نبي الله، محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

- ولكن يقول العلماء: أن جبريل عليه السلام - أراد ألَّا يُعرَف".

- وقيل: أن الملائكة لا يدخلون في هذا لا يدخلون في النهي؛ فالنهي خاص بالمكلَّفين؛ ولذلك لما صُعِدَ بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَإلى السماء لما طرق جبريل قالت الملائكة من؟ قال جبريل: "محمد" قال: "أوبعث إليه؟" يعني محمد، قيل: أن الملائكة ما يدخلون في النهي.

والأقرب والله أعلم: أن جبريل عليه السلام أراد ألَّا يُعرَف، وذلك الأعراب كانوا يأتون إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفيقولون: "يا محمد"فأراد ألَّا يُعرَف.

«وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟»أخبرني يعني أعلمني عن الإسلام، يعني ما هو الإسلام، «فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»أن مخفَّفة، يعني وهي التي تكون تفسيرية، وأنْ التفسيرية أن يكون ما بعدها مفسِّر لما قبلها، قال: «أَنْ تَشْهَدَ»يعني تشهد بلسانك مقرًّا بقلبك، تشهد كأنك تنظر إلى هذا الشيء، والمشاهدة هي العلم اليقيني أو النظر بالعين.

-قد تكون مشاهدة النظر بالعين، وقد تكون العلم الذي لا يخالط الشك.

قال: «أَنْ تَشْهَدَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»أي لا معبود بحق إلا الله، وهذه شهادة التوحيد "لا إله إلا الله" ومعناها لا معبود بحق إلا الله، «وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ»أيضًا تُقِر بقلبك ناطقًا بلسانك أن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَمُرسَل من الله ومبعوث منه عليه الصلاة والسلام، "ورسول الله" الرسول هو الذي بُعِثَ برسالة.

قال: «وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ»يعني تأتي بالصلاة قائم بشروطها وأركانها وواجباتها ومكملاتها، وذلك أن إقامة الشيء هو أن تأتي به معتدل، ليس المراد أن تصلي صلاة خالية من الخشوع، خالية من الأركان والواجبات؛ لا، إنما تقيم الصلاة يعني تأتي بها كاملة بشروطها وواجباتها ومكملاتها.

قال: «وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ»يعني تؤدي الزكاة للمستحقين لها.

«وَتَصُومَ رَمَضَانَ»يعني تُمسِك في هذا الشهر الذي افترضه الله عز وجل على عباده بالنية، تُمسِك على المفطِّرات بالنية.

قال: «وَتَحُجَّ البَيْتَ»يعني تقصد البيت الحرام لأداء مناسك الحج، قال: «إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»وهذا مقيِّد للحج بحيث أن الحج واجب ولكن إن استطعت إليه سبيلًا، والسبيل هو الطريق، فإذا قدر الإنسان ووجد الراحلة والزاد وجب عليه الحج.

«قَالَ: صَدَقْتَ»يعني هذا هو الإسلام كما قلت، والصدق هو مطابقة الخبر الواقع، هذا هو الصدق؛ «قَالَ: صَدَقْتَ -فَعَجِبْنَا لَهُ»يعني تعجبنا، والعجب يعني لِخفاء هذا الشيء على الصحابة رضي الله عنه، «يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ»يعني كيف يسأل ويقول: صدقت؟ والعادة أن السائل لا يعلم؛ فكيف يقول: صدقت؟! فالظاهر أن هذا الرجل عنده علم؛ لأنه قال: "صدقت".

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟»يعني علِّمني عن الإيمان، «قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ»يعني تؤمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما تقدَّم «وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ».

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟»وهذا موضع الشاهد؛ فدلَّ على أن الإحسان درجة أخص؛ لأنه قال: «أخبرني عن الإسلام» ثم قال: «أخبرني عن الإيمان» ثم قال: «أخبرني عن الإحسان» فالإحسان أعلى الدرجات.

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وهذا درجة الطلب بحيث أنك تحب الله عز وجل وتتذلل له خضوعًا وحبًّا وتطلب الوصول إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فتؤدي جميع الأعمال كأنك ترى الله عز وجل فلا تنظر لشهوات النفس ولا تنظر لرؤية الناس، والمحسن أبعد ما يكون عن الرياء، المحسن من أبعد الناس عن الرياء لأنه قد عبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كأنه يراه، ما يُرائي الناس، يبعد أن يرائي الناس.

«قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»وهذه الدرجة الثانية، إذا ما وصلت إلى أن تعبد الله كأنك تراه فاعتقد في نفسك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يراك؛ فاحذر أن تُسخِط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فإنه يراك؛ لذلك إذا وصل الإنسان لهذه الدرجة أيضًا فإنه يبعد أن يعصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتى لو كان في الخلوات؛ ولذلك المحسن يبعد أن يعصي الله عز وجل في خلوته لأنه يخاف.

فإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة فإنه يخاف الله عز وجل، لا يعصيه لا عند الناس ولا في خلوته؛ ولذلك قال الشافعي رحمه الله: "**إن أعز ما يكون الإنسان البذل مع الفقر التقى في الخلوة**"، ومعنى كلامه أنه ترك المعصية حال الخلوة، هذا معنى كلامه، ترك المعصية حال الخلوة فهذا من أعز ما يكون؛ بمعنى أن الإنسان الذي يترك المعصية وهو خالي لا يراه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهذا يدل على أنه من المحسنين؛ لأنه اعتقد أن الله عز وجل يراه فترك المعصية؛ وهذا موضع الشاهد قال: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

«**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟**»يعني متى الساعة؟ والساعة في لغة العرب هي الشيء الداهية العظيم، الشيء الداهية العظيم يُسمى ساعة؛ ولذلك يقول الرجل للآخر: "الساعة ستأتيك" الساعة يعني الداهية الكبرى أو "هذه ساعتك" يعني هذه الواقعة عليك؛ فهو الشيء الكبير على الإنسان.

والساعة المرادة في النصوص هي الوقت الذي جعله الله عز وجل لقيام القامة، حيث تتبدل هذه السماء وتتشقق وتتصدع الأرض ويخرب هذا العالم وينتقل الناس إلى عالم آخر، وهو عالم الآخرة.

«**قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»المسئول هنا هو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»والسائل هو جبريل؛ فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لجبريل: "فإني لا أعلم عنها ولا أعلم أكثر من علمك بها"، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ لا يعلم الساعة وجبريل ما يعلم الساعة؛ فدلَّ على أن غير جبريل والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من باب أولى، إذا كان أفضل الرسل لا يعلم متى الساعة وأفضل الملائكة ما يعلم متى الساعة فغيرهم من باب أولى.

وإخفاء الساعة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- الأول: إخفاء الذكر بحيث أنه ما يُذكَر للساعة نصوص، فهذا غير مراد؛ ولذلك قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر:١]وجاء في حديث أنس في الصحيحين: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بُعِثْتُ أَنَاوَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ، أَوْ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى».

-الثاني: إخفاء قرب، فهذا أيضًا غير مراد ولذلك الله عز وجل قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر:١]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُعِثْتُ أَنَاوَالسَّاعَةَكَهَاتَيْنِ» وأشراط الساعة دليل على قرب الساعة؛ ولذلك قال: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»وقال عليه الصلاة والسلام إذا وقع بعض العلامات فالساعة كالمرأة الحامل التي لا يُعلَم متى يكون ولادتها، فالقرب هذا غير مراد.

- الثالث: إخفاء وقوع، وهذا المراد بحيث أن وقوع الساعة لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى/ متى تقع؟ هذا لا يعلمه إلا الله، جميع الخلق ما يعلمه لا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا جميع الرسل ولا جبريل عليه السلام ولا جميع الملائكة ولا جميع الناس أبدًا، ما أحد يعرف متى الساعة؛ ولذلك يقول ابن كثير: أن ما جاء في الآثار أنه

بقي على الدنيا ستة آلاف سنة أو سبعة آلاف سنة كل هذا لا يصح منه شيء؛ لأن هذا مخالف لما دلَّت عليه النصوص الصريحة.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[طه:١٥]يقول المفسِّرون: "أكاد أُخفيها من نفسي. لو كان ذلك ولكن لا يخفى عليّ شيء" فالله عز وجل أخفى الساعة، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾[النازعات:٤٢-٤٤]وفي الآية الأخرى قال:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾[الأعراف:١٨٧]والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَهنا يقول: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»فوقوع الساعة لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟» يعني علاماتها، يعني علامات الساعة، وهذا دليل على أن الساعة لها علامات تدل على قربها، وعلامات الساعة تنقسم إلى قسمين:

ـ **الأولى: صغرى، علامات صغرى**، وهذه على ثلاث درجات:

-منها ما وقع وانقضى. كبعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذلك يقول: «بُعِثْتُ أَنَاوَالسَّاعَةَكَهَاتَيْنِ».

-ومنها موته عليه الصلاة والسلام؛ ولذلك قال في صحيح مسلم: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بيتِ الْمَقْدِسِ» وقد وقع، ومنها الطاعون الذي وقع في

زمن الصحابة، ومنها النار التي خرجت في منتصف القرن السابع تكلَّم عنها العلماء، هذه أشراط وقعت وذهبت، كثير من العلامات الصغرى وقعت وذهبت.

-الثاني: ما يقع ويتجدد، يقع ويتجدد شيئاً فشيئاً كزخرفة المساجد، زخرفة المساجد قبل مئة سنة أو أقل ما كان معروف، والآن يرى الناس ولكن ما يقول الإنسان: "هذا من علامات الساعة" لكن ينظر، ينظر قد تكون من علامات الساعة؛ لأن علامات الساعة إذا وقعت عرف الناس أنها من علامات الساعة، ومنها تسارع الزمن بحيث أن الزمان يكون سريع الانقضاء؛ لذلك جاء عند أحمد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "تكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة" وهي جريدة النخل إذا أشعلت فيها النار اشتعلت بسرعة؛ هكذا تمر الساعة.

ومنها فشو التجارة -تفشو التجارة حتى أن المرأة تعمل مع زوجها في التجارة.

ومنها كثرة الحسد والشح.

ومنها قلة الأمناء حيث أنك تبحث عن الأمين ما تجد إلا الرجل أو الرجلان في القوم.

ومنها سوء الجوار، ومنها قطيعة الرحم، ومنها كثرة العقوق كما في الحديث، وكثيرة من علامات الساعة وهي تخرج وتتجدد.

-الثالث: علامات الساعة الصغرى التي لم تقع، وهذه قد تقع مع علامات الساعة الكبرى.

↵ القسم الثاني من علامات الساعة: هي الكبرى.

كنزول عيسى عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، والخسوف، وخروج الشمس من مغربها؛ فهذه ما وقع منها شيء، وهذه إذا وقعت تتتابع -كما جاء عند الإمام أحمد- كالخيط الذي امتلأ بخرز إذا قُطِعَ، كيف تتتابع؟ هكذا تكون، تتتابع بعضها بعد بعض.

وإذا خرجت الكبرى فالساعة قريبة، فالساعة قريبة جداً، ولا شك أن الساعة الآن قريبة؛ ولذلك الله عز وجل قال:﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء:١]هذا في حين نزول القرآن على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقبل أكثر من ألف سنة، قال:﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء:١]وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر:١]وانشقاق القمر كان في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفالساعة لا شك أنها قريبة، ولكن متى هي؟ هذا علمه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك جاء في الحديث أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا عَلَى أَطْرَافِ سَعَفِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا»فقد ذهب الكثير، ذهب الكثير من الدنيا.

قال: «قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا»هذا من علامات الساعة الصغرى أن تلد الأمة ربتها، بحيث أن المرأة تلد من يكون سيد لها.

- قيل: أن الرجل يطأ الأمة عنده فتلد منه؛ فيكون الولد حر بمنزلة السيد على أمه.

-وقيل: كثرة العقوق في آخر الزمان.

- وقيل: أن الإماء تكثر في آخر الزمان فتُبَاع، فيشتري الرجل أمه وهو لا يدري أنها أمه، يعني يكون حر هو ثم يشتريها هو نحو ذلك.

«قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ»الحُفاة: جمع حافي، وهو الرجل الذي لا نعال على قدميه، العُراة: يعني عراة الأجسام بحيث أنهم قليلين المال، بسبب قلة المال لا تجد عليه ثياب إلا ما يستر عورته، قال: «العَالَة» يعني الفقراء، «رِعَاءَ الشَّاءِ»يعني الذين يعملون في الغنم ويرعونها، «يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ»يعني هؤلاء الفقراء المساكين يبنون البنيان الطوال، بحيث هذا يقول: "بنياني أطول منك" والآخر يقول: "أنا أطول منك"؛ فيبني هذا الطوابق وهذا أكثر وهذا أكثر؛ فيتطاولون.

«قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيّاً»يعني زمنًا من الوقت، وجاء عند أبي داود أن هذا الوقت ثلاثة أيام.

«ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»وهذه اللفظة: "الله ورسوله أعلم" تُقَال في الأمور الشرعية حال حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا كان أمر شرعي يعني "حكم كذا أحلالٌ أم حرام؟" والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَحي؛ تقول: "الله ورسوله أعلم"، أما بعد موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفلا يُقال حتى في الأمور الشرعية، وأما في الأمور الكونية فلا يُقال في حال حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَولا بعد مماته: ".

فمثلًا لو قيل: "متى الساعة؟" تقول: "الله أعلم" حتى لو كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَحي، وإذا قيل مثلًا: "متى ينزل المطر" فتقول: "الله أعلم" فقط، حتى لو كان عليه الصلاة والسلام حي؛ لأن هذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله.

«قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»يعني يُعلِّمكم أمور دينكم، وفي هذا دليل على أن هذا الحديث شامل لجميع أمور الدين؛ لذلك يقول أحد العلماء: أن هذا الحديث ينبغي أن يسمى أم السنة يعني الجامع لمعاني السنة، فإذا عرف الإنسان هذا الحديث وفهم معانيه فإنه يكون بلغ منزلة في العلم بسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وموضع الشاهد في الحديث قال: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الأَصْلُ الثَّالِثُ:

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ، وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

نُبِّئَ بِاقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:١ – ٧]

وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، وعَدَاوَتُها وَأَهْلِهَا، وفِراقها وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا*إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٩٧ - ٩٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت:٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ").

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الأَصْلُ الثَّالِثُ)**من الأصول الثلاثة، والتي يتحتم على المسلم معرفته؛ وهو معرفة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فهذا الأصل لا بد أن يعرفه الإنسان؛ لأنَّ النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**هو الذي بُعث بالرسالة، فلا بد أن يعرف الإنسان هذا الذي أُرسل إليه، لا بد أن يعرفه.

ولذلك هذا مما هو متحتم على المسلم، فمن لم يؤمن بالنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**أنَّه رسول فهذا ليس بمسلم، وإن كان مسلم ولم يؤمن بالنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإنَّ هذا ردة عن الإسلام؛ لأنَّه لا بد أن يؤمن بأنَّ محمدًا**صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**مرسل من الله، فهذا أصل من الأصول الثلاثة، وأيضًا هذا الأصل يُسأل عنه الإنسان في قبره، يُسأل عن هذا السؤال، فيُقال: من هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيُسأل عن النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

قال: **(وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ)**، محمد، هذا الاسم للنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وقد ذُكر في القرآن في أربع مواضع، ومحمد أي: الذي يحمده الناس على صفاته، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن

أسمائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أحمد، ومحمد وهي من أشهر أسمائه، أحمد أي: أنَّه أحمد الناس لربه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهو أكثر الناس حمدًا.

قال: **(ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ)**، هذا والد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: عبد الله، وقد تُوفي قبل ولادة النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وكان حملٌ في بطن أمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: **(ابْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ)**، عبد المطلب هو جد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، واسمه شيبة، وقد جاء به عمه عبد المطلب، واسم عمه: المطَّلب، فرآه الناس لمَّا دخل مكة وقد جاء به من المدينة، وكان بسبب ضوء الشمس تغير لونه، فأصبح فيه شيء من السمرة، فقالوا: هذا عبد المطلب، وكان ابن أخيه، فسُمي من ذلك اليوم عبد المطلب.

قال: **(ابْنِ هَاشِمٍ)**، وهاشم من أجداد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وسُمي هاشم لأنَّه كان يهشم الثريد لقومه، فكان فيه كرم، هذا من أجداد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كان فيه كرم، وكان يهشم الثريد لقومه، وإليه تُنسب الرحلتين؛ ولذلك يقول القائل: "عمرو الذي هشم الثريد لقومه، وإليه نسبة الرحلتان: سفر الشتاء ورحلة الأصياف"، فهذا من أجداد النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، واسمه عمرو.

قال: **(مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ)**، وقيل: إنَّهم سُموا قريش لأنَّهم كانوا يبيعون ويشترون بالقَرش، القَرش هذا نوع من المال، والله أعلم.

قال: **(وَقُرَيْشٌ مِنَ العَرَبِ)**، يعني من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: **(وَالعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ)**، وإسماعيل هو أبو العرب، قال: **(ابْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ)**، يعني أنَّ النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ينتهي نسبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى الخليل إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (الخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ. وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً)، يعني هذا مدى حياة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي بقي فيها في الدنيا، ثلاث وستون سنة، قال: (مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ) يعني: قبل أن ينزل عليه الوحي، (وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا)، أي أنَّه عاش عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد الوحي ثلاث وعشرون سنة.

قال: (نُبِّئَ بِاقْرَأْ)، ﴿اقْرَأْ﴾[العلق:١]، أول، أولية مطلقة، أول ما نزل عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي: خمس آيات من أول سورة ﴿اقْرَأْ﴾[العلق:١]، وقد جاء في الصحيحين: أنَّ جابر رضي الله عنه قال: "أول ما أُنزل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَالمدثر" وهذا فيه إشكال؛ لأنَّ في الصحيح أنَّه أيضًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نُبئ باقرأ، والجمع بين هذا كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَّه (نُبِّئَ بِاقْرَأْ)، فأول ما نزل مطلقًا أول خمس آيات من سورة اقرأ، وأول ما نزل في شأن الرسالة: سورة المدثر، كما قال جابر رضي الله عنه، هذا الجواب، وهو الذي ذهب إليه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ولذلك قال: (نُبِّئَ بِاقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالمُدَّثِّرِ).

قال: (وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنِّذَارَةِ)، يعني بلده الذي وُلد فيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ونشأ مكة، بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنِّذَارَةِ يعني: يُنذر الناس، والإنذار هو التخويف أو التذكير المقترن بالتخويف، قال: (عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ)، هذا أصل رسالته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ أنَّه يحذِّر من الشرك ويأمر بالتوحيد، هذا أصل الرسالة.

قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر:١])، يعني الدليل على رسالته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر:١]، هذا نداءٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لرسوله، والمدثر يعني المتغطي؛ ولذلك لمَّا نزل جبريل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَوهو في غار حراء، خرج إلى خديجة رضي الله عنها، فأتاها فقال: «دثِّروني دثِّروني»، يعني غطوني، فغُطِّي، فناداه الله سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى وهو مغطًّى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ﴾[المدثر:١ - ٢]، ﴿قُمْ﴾[المدثر:٢]يعني: انطلق لهذا الشيء، ليس المراد القيام يعني الوقوف، لا، ولكنَّه يسير في هذا الشيء، في شأن الرسالة.

قال:﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[المدثر:٢]يعني: خوِّف الناس وأنذرهم، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[المدثر:٣]أي: وخالقك ومعبودك الذي ليس لك معبود سواه، فكبِّره أي: عظِّمه وأجله، ومن تعظيم الله عَزَّ وَجَلَّ نفي الإشراك عنه وعبادته وحده لا شريك له، قال:﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر:٤]، ثيابك أي: عبادتك أو عملك، فطهره من الشرك، وأعظم ما يطهر الإنسان نفسه من الشرك، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر:٤]يعني: طهِّر عملك من الشرك واجتنبه، ويشمل أيضًا الثياب الحسية.

قال:﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[المدثر:٥]، والرجز هي الأصنام، فاهجر يعني: اتركها وابتعد عنها، ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[المدثر:٦]، ولا تمنن يعني: لا تمن تستكثر، بمعنى أنَّك لا تعطي أحد تريد أن يعطيك أكثر مما أعطيته، هذا قول، والقول الثاني: أنَّه إذا عملت لربك لا تستكثر هذا الشيء؛ فإنَّ نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليك كثيرة، فإذا عملت لله فلا تستكثر العمل.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:٧]يعني: لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولخالقك ومعبودك، الذي ليس لك معبود سواه، فاصبر في شأن عبادته، وفي شأن الدعوة إليه، وفي شأن ما تلاقيه في سبيله، فاصبر.

قال: (وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا)، فلا بد أن يتبرأ الإنسان من الشرك ومن أهل الإشراك، فتتبرأ من العمل ومن العامل، العمل: الشرك، تتبرأ منه، والعامل: المشرك، تتبرأ منه.

قال: (أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ)، يعني أخذ في مكة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عشر سنين يدعو إلى التوحيد؛ لأنَّه لم يُشرع شيء من أركان الإسلام، بل بقي عشر سنين وهو يعلم التوحيد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، (وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)، يعني بعد عشر سنين عُرج به إلى السماء، والمعراج هو الصعود إلى السماء، وقد عُرج به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من بيت المقدس بعد أن أُسري به، (وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ)، والصلوات الخمس فُرضت في السماء، فوق السماء السابعة.

(وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ)، يعني بعد الإسراء والمعراج، وفي قول: أنَّه صلَّى سنة وزيادة، والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أنَّه صلَّى ثلاث سنين، قال: (وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ)، يعني أمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن يهاجر؛ ولذلك لمَّا اجتمع المشركون وأرادوا أمرًا عظيمًا، أرادوا أن يقتلوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اجتمعوا، وقد قيل: أنَّ الشيطان اجتمع معهم، فقالوا: قولوا أمر في هذا الرجل، يعني في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أبو جهل: أرى أن تأتوا بشابٍ قوي من كل قبيلة، من كل قبيلة من قبائل قريش، ثم يقتلوه قتلة رجلٍ واحد؛ حتى يتفرق دمه في القبائل، فلا يقدر بنو هاشم على أن يأخذوا له الثأر، فيرضوا بالدية، ونعطيهم الدية، فاتفقوا على هذا الأمر العظيم، حتى أنَّ الشيطان رضي بهذا القول، ولكنَّهم يمكرون، والله عَزَّ وَجَلَّ خير الماكرين، والله عَزَّ وَجَلَّ مكر بهم وهم لا يعلمون.

ولذلك لمَّا أجمعوا، وخرج الشباب ووقفوا عند باب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نزل جبريل فأخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَبما قيل فيه، فخرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَفي الظهيرة، قبل أن يأتوا في، فأتى إلى أبي بكر، فرآه أبو بكر وهو متقنع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقال: "بأبي وأمي، ما جاء إلا لشيء"، ما كان من عادته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يأتي في هذا الوقت؛ ولذلك لمَّا دخل

على أبي بكر قال: «أخرج من عندك»، قال: يا رسول الله، ما عندي إلا أهلي، فقال: «إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمرني بالهجرة»، وأخبره بالخبر.

ثم إنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر علي أن ينام في مكانه، وقال: «إنَّهم لن يصلوا إليك، ولن يأتيك منهم شيء»، ثم أتى أولئك الشباب وهم وقفوف عند الباب ينتظرون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم أمامه، فوضع التراب على رؤوسهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[يس:٩]، فخرج فوضع على رؤوسهم التراب، ثم خرج عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من بين أيديهم ولم يروه، حتى أتى الغار، فبقي فيه وقت من الزمن.

ولذلك لمَّا أتاهم رجل فقال: إنَّ محمد قد خرج، وقد وضع على رؤوسكم التراب، فقالوا: إنَّه في فراشه ولم يخرج، فقال: كل رجل برأس، فإذا التراب على رأسه، فنظروا فإذا علي نائم في فراشه، قالوا: هاهو نائم في الفراش، فلمَّا أصبح عرفوا أنَّه علي رضي الله عنه، إلى آخر القصة؛ ولذلك هاجر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قال: (وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ)، قال: (وَالهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ)، الهجرة لغةً: هي الترك، وأمَّا شرعًا: فإنَّ**لها معنيان:**

المعنى الأول: معنًى خاص، وهي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهي المرادة في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[النساء:٩٧]، وفي قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا تنقطِعُ الهجرةُ حتَّى تنقَطعَ التَّوبةُ»، وفي قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ»، فهذا المراد المعنى الخاص.

المعنى العام للهجرة: أنواع:

الأول: هجرة مكان، وهي أن يهجر الإنسان المكان الذي يُعصى الله عَزَّ وَجَلَّ فيه إلى المكان الذي يُطاع فيه، فيهجر بلد المعصية إلى بلد الطاعة، كما جاء في الصحيحين: الرجل الذي تاب، فأمره العالم أن يخرج من أرضه التي فيها معصية إلى الأرض التي فيها طاعة، فهذه هجرة مكان.

الثاني: هجرة عمل، فيهجر الإنسان كل عملٍ يُبعد عن الله عَزَّ وَجَلَّ؛ كالزنا، وشرب الخمر، والغيبة، والنميمة، والكذب، والمحرمات بجميعها، كل عملٍ يُبعد عن الله عَزَّ وَجَلَّ يهجره، والدليل على ذلك: ما جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهَى اللَّهُ عنْه**»، يعني من ترك ما نهى الله عنه.

الثالث: هجرة عامل، وهو أن يهجر العاصي، بمعنى يتركه، فإن كان هذا العاصي كافر، فتهجره مطلقًا حتى يُسلم، فتهجر الكافر، فتتركه، تتبرأ منه، وإن كان عاصي، فتنظر إلى المصلحة، فإن كان في هجره ردع ورجوع له إلى الطاعة، فإنَّك تهجره، وإن لم يكن في هجره فائدة، فلا تهجره؛ ولذلك جاء في الصحيح: أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هجر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك خمسين ليلة، خمسين ليلة هجرهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حتى تابوا ورجعوا، وهذا إذا كان فيه مصلحة فيُهجر الإنسان.

وقد قيل: أنَّ الهجر مطلقًا، كما قال ابن عبد القوي:

وهجـــران مـــن أبـــدى وقيـــل: إن يـــردع أوجـــب

يعني الأصل أنَّك تهجره، والقول الثاني: إن يُردع أوجب وأوكد، إن كان فيه ردع،

وقيـل: عـلى الإطـلاق مـا دام ولاقيـه بوجـهٍ مكفهـرٍ معربـد

يعني إذا كان يُعلن بالمعاصي فتهجره، والأقرب: ما ذهب إليه بن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من علماء: أنَّك تهجره إذا كان فيه مصلحة، فإن كان في هجره فائدة فتهجره، وإن كان الهجر يزيد في معاصيه فلا تهجره، فمثلًا: بعض الناس إذا هجرته زاد في عصيانه، فهذا لا يُهجر، فيُنظر إلى المصلحة.

أيضًا من أنواع الهجرة: هجرة قلب، بمعنى أن يهجر جميع ما يُعبد من دون الله، ويتوجه بقلبه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مخلصًا له العبادة حبًّا وتعظيمًا وخشوعًا وغير ذلك من أنواع العبادة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٧٩]، فيتوجه بقلبه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حبًّا وتعظيمًا وتوحيدًا.

الخامس: هجرةٌ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بحيث يحكِّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما شجر بينه وبين غيره، ويرضى بحكمه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما جاء في الحديث: «فمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إلى اللَّهِ ورَسولِهِ»، وكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]، فيحكِّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع ما شجر بينه وبين غيره.

هذه أنواع الهجرة من حيث العموم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالهِجْرَةُ: الِانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ)، هذا بمعناها الخاص، قال: (وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ)، الهجرة واجبة، **وهي واجبة بشرطين:**

الشرط الأول: ألا يقدر الإنسان أن يقيم دينه في هذا البلد، بلد الكفر، بحيث لا يقيم العبادات، ولا يُظهر دينه، فإن كان لا يستطيع ذلك، فيجب عليه أن يهاجر ويخرج في الأرض ليتعبد لله عَزَّ وَجَلَّ ويقيم هذا الدين.

الشرط الثاني: أن يكون له قدرة، فإن كان ضعيف، أو مريض، أو امرأة، ولا يستطيع الخروج بنفسه، فإنَّ هذا يُعذر حتى يقدر، كما جاء عن ابن عبَّاس قال: "أنا كنت من الصبيان المستضعفين في الأرض، وكانت أمي من النساء"، ا، ويقول المؤلف: أنَّها باقيها إلى يوم القيامة، فهي واجبة، واجبة بالشرطين.

وهنا إشكال: جاء في الصحيحين من حديث ابن عبَّاس: أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ»، وهذا الإشكال يُجاب عنه بواحدٍ **بأمرين:**

الأمر الأول: أن يُقال: أنَّه لا هجرة من مكة إلى المدينة بعد الفتح؛ لأنَّ مكة ستبقى دار إسلام إلى يوم القيامة، هذا فيه بشرى أنَّها ستبقى دار إسلام إلى يوم القيامة.

أو يُجاب عنه أيضًا: بأنَّه لا هجرة أفضل من الهجرة قبل الفتح، فالهجرة قبل الفتح أفضل من غيرها من الهجرة؛ لأنَّه يهاجر إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة، حين كان الإسلام يجتمع في المدينة، وكانت الهجرة واجبة إذا أسلم الإنسان.

فلا إشكال؛ ولذلك جاء في الحديث: أنَّ الهجرة - باقية إلى يوم القيامة: «لا تنقطِعُ الهجرةُ حتَّى تنقَطعَ التَّوبةُ، ولا تنقطِعُ التَّوبةُ حتَّى تطلعَ الشَّمسُ مِن مغربِها».

قال المؤلف: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى)، يعني الدليل على الهجرة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[النساء:٩٧])، ﴿تَوَفَّاهُمُ﴾يعني: تقبض أرواحهم عند الوفاة، ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾[النساء:٩٧]يعني: ظالمي أنفسهم بترك الهجرة، ﴿قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ﴾[النساء:٩٧]يعني: لمَ

بقيتم في دار الكفَّار؟﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾[النساء:٩٧]يعني: كنَّا يروننا أنَّنا مستضعفين، فلم نقدر، ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾[النساء:٩٧]، هذا دليل الهجرة، يعني أنَّ أرض الله عزَّ وجل كانت واسعة، لمَ لا تخرجوا فيها وتتعبدوا لله؟﴿وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾[النساء:٩٧]يعني: مصيرهم، ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:٩٧].

﴿إِلَّا﴾[النساء:٩٨]، وهذا استثناء، ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ﴾[النساء:٩٨]، وهذا دليل على أنَّ الذي لا يقدر على الهجرة فإنَّه يُعذر؛ لذلك عُذروا في هذه الآية الكريمة، قال:﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾[النساء:٩٨]، أي: لا يستطيعون حيلة في الخروج من هذه البلد، ﴿وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾[النساء:٩٨]يعني: لا يدلون الطريق.

﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾[النساء:٩٩]، و"عسى" من الله عَزَّ وَجَلَّ واجبة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "، فـ"عسى" من الله عَزَّ وَجَلَّ واجبة، قال:﴿فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾[النساء:٩٩]يعني: يتجاوز عنهم، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء:٩٩] يعني: يتجاوز سبحانه عن عباده.

قال: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[العنكبوت:٥٦])، في هذه الآية الكريمة يبين الله عَزَّ وَجَلَّ لعباده المؤمنين أنَّ أرضه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واسعة، مترامية الأطراف، فليخرجوا فيها ليتعبدوا لله فيها، وفي هذه الآية الكريمة ناداهم الله عَزَّ وَجَلَّ باسم الإيمان، فدلَّ على أنَّ من ترك الهجرة ليس بكافر، بل هو على الإيمان، ويُحمل قوله تعالى:﴿فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾[النساء:٩٧] أنَّه من باب الوعيد.

ولذلك (قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ: فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ").

المتن:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالمَدِينَةِ؛ أُمِرَ فيها بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، مِثْلُ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وغير ذلك من شرائع الإسلام، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وبعدها تُوُفِّيَ صلوات الله وسلامه عليه، وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ).

الشرح:

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالدَّلِيلُ عَلَى الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ)، يعني المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر الدليل من الكتاب، وهذا الدليل من السُّنة، يعني من سنَّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: (قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ»)، يعني مستمرة، وواجبة ومشروعية حتى تنقطع التوبة، يعني إذا انقطعت التوبة، انقطع وجوب الهجرة، والتوبة لا تنقطع إلا بخروج الشمس من مغربها؛ ولذلك قال: «وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، فإذا طلعت الشمس من مغربها انقطعت التوبة، كذلك تنقطع الهجرة؛ لأنَّه إذا خرجت الشمس من مغربها، فالقيامة قريبة، وقد أتى أشراط الساعة.

قال: (فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالمَدِينَةِ)، لمَّا خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة، خرج عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين، وتُوفي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم الاثنين، وبُعث عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أو أُنزل عليه يوم الاثنين، ووُلد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم الاثنين؛ ولذلك دخل يوم الاثنين.

دخل المدينة، ولمَّا دخل، نزل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عند أخواله، ثم بنى المسجد النبوي، ثم بنى له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حجرة أو حجرتان لبعض نسائه، ثم كلَّما استجد له امرأة بنى حجرة أخرى، ثم بعد ذلك أُمر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ببقية شرائع الإسلام؛ كالزكاة، والزكاة شُرعت في المدينة، بُيِّنت الأنصبة، وقد نزل وجوب الزكاة قبل ذلك، وأمَّا الأنصبة فقد كانت في المدينة، وقوله تعالى:﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[الأنعام:١٤١]، هذه نزلت قبل الهجرة، وبيَّن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأنصبة وشُرعت بعد الهجرة.

قال: (وَالصَّوْمِ)، وأيضًا الصوم شُرع في المدينة، (وَالحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وغير ذلك من شرائع الإسلام، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ)؛ لأنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد الهجرة للمدينة بقي عشر سنين، يتعبد لله عَزَّ وَجَلَّ ويأمر الناس بالعبادات ويعلمهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(وَتُوُفِّيَ صلوات الله وسلامه عليه وَدِينُهُ بَاقٍ)أي: توفي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوم الاثنين كما تقدَّم، والمشهور عند علماء السير: أنَّه في الثاني عشر من ربيع الأول. قال: (وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ) أي: أنَّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بلَّغ البلاغ المبين؛ ولذلك ما قبضه الله عَزَّ وَجَلَّ حتى أقام به هذا الدين؛ ولذلك يقول أبو ذر رضي الله عنه: "ما من طائر يطير في السماء إلا قد ذكر لنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه علمًا"؛ ولذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلَّغهم جميع شرائع الإسلام.

وقد قال رجل من اليهود أو من أهل الكتاب لسلمان رضي الله عنه: أبلغكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة؟ أي: حتى ما يخرج من الإنسان؟ قال: "نعم، فقد أمرنا ألا نستقبل القبلة ببولٍ ولا غائط، وألا نستنجي باليمين، وألا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار"، فما من شيء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يحتاجه الناس إلا وقد بلَّغهم به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ولذلك في قوله تعالى:﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[الأحزاب:٣٧]، قالت عائشة رضي الله عنها: "لو كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَأخفى شيء من الشرع أو من الرسالة لأخفى هذه الآية"؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قال له:﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾[الأحزاب:٣٧]، وبلَّغها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما من شيء إلا بلَّغه؛ ولذلك دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد تم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ)، يعني من أعظم ما دلَّها عليها التوحيد، (وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ)من الأقوال والأعمال، (وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ)، هذا أعظم ما حذَّر منه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ)، يعني يمنعه، فهذا لكل ما يكرهه الله عَزَّ وَجَلَّ ويأباه.

قال: (بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ؛ الجِنِّ وَالإِنْسِ)، نعم، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَمرسل إلى الإنس والجن، فيجب على كل إنسي أن يتَّبع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجب على كل جني أن يتَّبع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن لم يتَّبع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَمن إنسٍ أو جن فإنَّه لن يدخل الجنة، بل يجب على جميع الناس بعد مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتَّبعوه، من كل الأمم، من اليهود، والنصارى، والمجوس، وغيرهم، يجب عليهم، إذا أرادوا أن يسلموا أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.

وأيضًا يجب عليهم أن يتَّبعوه ويعملوا بالشرع الذي جاء به؛ لأنَّ الشرع الذي جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ناسخ لجميع الأديان التي قبله، وعلى هذا لو قال يهودي أو نصراني: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأكفر بما سوى الله، وأعتقد أنَّ جميع ما يُعبد من دون الله باطل، وأشهد أنَّ موسى أو عيسى رسولٌ من الله، ولكن محمد لا أؤمن به، فنقول: هذا الرجل ما زال على الكفر، كافر، ولن يدخل الجنة ما دام على هذه العقيدة، حتى يؤمن بالنبي صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعمل بالشرع الذي جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يقول هذا القول هو كاذب؛ لأنَّ عيسى وموسى عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أمروا باتِّباع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك عيسى قال الله حكايةً عنه:﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[الصف:٦]، فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بشَّر به، وقد قيل: أنَّه ما من نبي إلا وقد أخذ الله عَزَّ وَجَلَّ عليه العهد إن بُعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يؤمن به وبما جاء به؛ ولذلك لمَّا أخذ عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يا ابنَ الخطَّابِ، أمُتَهَوِّكون أنتُم؟»، يعني: متحيرون، «لقد جئتُكم بها بيضاءَ، والذي نفسي بيدِه لو أنَّ موسى كان حيًّا ما وسِعَه إلا أن يَتبَعني».

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبعوث للخلق، لجميع الثقلين من إنسٍ وجن، حتى الجن إذا لم يؤمنوا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدخلوا الإسلام، فلابد لكل مكلَّف أن يؤمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨]، ﴿قُلْ﴾ يعني: قل يا محمد، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، و"ال" هنا للعموم، يشمل جميع الناس، ﴿إِنِّي﴾: وهنا توكيد، "إن" هنا مُثقَّلة تدل على التوكيد، ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾يعني: مرسل من الله، ﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، "إليكم": الضمير عائد إلى الثقلين، ﴿جَمِيعًا﴾، وجميعًا مؤكِّدة، فتدل على أنَّه لا يخرج منها أحد، فيجب على كل إنسان أن يؤمن بما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: (وَكَمَّلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ)، نعم، الدين كمَّله الله عَزَّ وَجَلَّ بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[المائدة:٣])، ﴿الْيَوْمَ﴾هنا للعهد الحضوري، يعني هذا اليوم، وهذه الآية نزلت في عرفة يوم الجمعة، قال:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾يعني: أتممت، ﴿لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يعني: ما تطيعون الله

عزَّ وجلَّ به، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ يعني: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أتمَّ النعمة ببعثة هذا الرسول وتبيين الشرع، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾أي: أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رضي هذا الإسلام دينًا، فلا دين إلا دين الإسلام المرضي عند الله.

قال: (وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣٠ - ٣١])، الدليل على موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقد مات.

ولذلك يجب على الإنسان أن يعتقد أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقد مات، كما خرج أبو بكر رضي الله عنه لمَّا اختلف الصحابة في موت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان عمر رضي الله عنه أخذ السيف وقال: "من قال أنَّ محمدًا مات ضربته بهذا السيف، إنَّما ذهب محمد يكلم ربه كما كان موسى يكلم ربه"، فدخل أبو بكر رضي الله عنه، فكشف عن وجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَالغطاء، فرآه ميتًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقبَّله على جبينه وقال: "بأبي أنت وأمي، طبت حيًّا وميتًا"، ثم تلا قوله تعالى:﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[آل عمران:١٤٤] قال عمر: "لمَّا سمعت هذه الآية عرفت أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَقد مات، فما قدرت أن أقف حتى وقعت على الأرض".

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَمات، مثله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مثل غيره من البشر؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما جعل لأحدٍ من البشر على هذه الأرض خلودًا،، لا يخلد في هذه الأرض أحد، فالله عَزَّ وَجَلَّ كتب على بني آدم الموت.

ولذلك الله عَزَّ وَجَلَّ قال:﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾[الزمر:٣٠]، ﴿إِنَّكَ﴾: الضمير هنا عائد إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿مَيِّتٌ﴾أي: أنَّك ذائق الموت، ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠]أي: أنَّ الناس

الذين معك ومن يأتي بعدك سيموتون، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر:٣١]، ﴿ثُمَّ﴾ هنا للتعقيب، يعني بعد ذلك إذا بُعثتم، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر:٣١]يعني: يوم البعث والنشور ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣١]، يعني تختصمون، فيكون بينكم اختصام، والاختصام هنا لم يُذكر يختصم مع من، فيشمل اختصام المؤمن مع الكافر، ويشمل اختصام الإنسان مع جوارحه، ويشمل اختصام المؤمن مع المؤمن الآخر إذا كان له حق عنده، وهكذا؛ ولذلك قال:﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣١].

قال: (وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ)، يعني يُخرجون للبعث والنشور، قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾[طه:٥٥])، "من" هنا أي: من الأرض، والظاهر والله أعلم: أنَّها للتبعيض؛ لأنَّ الناس خُلقوا من التراب، من الأرض، فآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خُلق من الأرض، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾[طه:٥٥]يعني: منها أنشأناكم، يعني من الأرض، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾[طه:٥٥]يعني: نعيدكم بعد الموت، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[طه:٥٥]يعني: مرةً أخرى للبعث والنشور، فالإنسان خُلق من التراب، ثم يعود في التراب، ثم يُخرج من التراب، **فله ثلاث حالات:**

الحالة الأولى: أنَّه أُنشئ من التراب، وقد جاء عند أحمد: **«إنَّ اللهَ خلَقَ آدمَ مِن قبضةٍ قَبَضَها مِن جميعِ الأرضِ، فجاءَ بنو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ»**، فتجد السَّهْلُ، وتجد الحَزْنُ، وتجد الطيِّب، وتجد الخبيث، كهيئة الأرض.

وأيضًا يعيدهم الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الأرض.

وأيضا يُخرجهم الله عَزَّ وَجَلَّ منها، كما جاء في الحديث الصحيح: أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يبعث مطر من السماء فينبتون من الأرض.

قال: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾[نوح:١٧])، يعني أنشأكم من الأرض إنشاءً، (﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح:١٨]) يعني يعيدكم بعد الموت ثم يُخرجكم يوم القيامة، قال: (وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ).

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر البعث؛ لأنَّ من الناس من كان يُنكر البعث، فأتى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالأدلة على ذلك، قال: (وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[النجم:٣١])، ﴿وَلِلَّهِ﴾: اللام هنا لام المُلك، ﴿وَلِلَّهِ مَا﴾[النجم:٣١]: "ما" تدل على العموم، وهي اسم موصول يدل على العموم، أي: جميع ما في السماوات، ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[النجم:٣١]، وأيضًا الميم هنا تدل على العموم، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾[النجم:٣١]يعني يجازيهم بسيئاتهم بما يستحقون، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾[النجم:٣١]يعني: يجازي الذين عملوا الصالحات في الدنيا بالحسنى، وهي الجنة كما جاء في الحديث.

قال: (وَمَنْ كَذَّبَ بِالبَعْثِ كَفَرَ)، نعم، من جحد البعث فقد كفر؛ لأنَّه كذَّب النصوص، قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧])، وهذا دليل على أنَّ من كذَّب بالبعث فقد كفر.

قال: (وَأَرْسَلَ اللَّهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ)، يعني الرسل أرسلهم الله عَزَّ وَجَلَّ للأمم لينذروهم وليبشروهم، (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥])، يعني أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرسل الرسل ليبشروا ولِيُنذروا، ولأجل ألا يكون للناس احتجاج على الله عَزَّ وَجَلَّ يوم القيامة، فيقولوا: يا ربنا، ما بعثت إلينا رسولًا، يا ربنا، ما علمنا الدين، فالله عَزَّ وَجَلَّ قطع هذا على الناس، فليس للناس على الله عَزَّ وَجَلَّ حُجة، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[الأنعام:١٤٩].

قال: (وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ)، أول الرسل نوح، كما جاء في حديث الشفاعة: «فَيَأْتُونَ نُوحًا فيقولونَ: يا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ»، (وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠]، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وخُتمت بي النبوة».

قال: (وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[النساء:١٦٣])، يعني هذا دليل على أنَّ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أول النبيين.

قال: (وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا، مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦])، قال: (وَافْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ: الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ)، الطاغوت من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، والطاغوت هو كل ما عُبد من دون الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن كان راض فهو طاغوت، وإن لم يكن راض، فإنَّ الطاغوت هو الذي عبد، وحاشا للمعبود أن يكون طاغوت؛ لأنَّه لا يرضى هذا الشيء، فهذا يزيل الإشكال؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بترك عبادة الطاغوت، يعني نهى عن الشرك؛ ولذلك إذا رضي هذا الذي عُبد بالعبادة فهو طاغوت، وإذا لم يرض، فليس بطاغوت، بل الطاغي هو الذي عبده.

لذلك قال الإمام مالك: "أنَّ الطاغوت كل ما عُبد من دون الله"، ويزيل الإشكال أنَّه إذا كان راض فهو طاغوت أيضًا، والعابد له طاغوت، والمعبود طاغوت، وإن كان لم يرض، فإنَّ العابد طاغوت، والمعبود ليس بطاغوت، بل هو يبرأ من هذا الشيء.

(قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ، مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ"، وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرون، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا

النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، فذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ رؤوس الطواغيت؛ ولذلك قال المؤلف: أنَّهم كثيرون، ولكن منهم هؤلاء.

قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٥٦]، (وَهَذَا مَعْنَى "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ") يقول المؤلف؛ ولذلك قال:﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، هذه الآية:

✍قيل: أنَّه لا إكراه في الدين، أي لا تُكرهوا أهل الكتاب على الإيمان، فإن دفعوا الجزية فلا تكرهوهم، هذه خاصة بأهل الكتاب.

✍وقيل: أنَّ الآية منسوخة، منسوخة بقوله تعالى:﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة:٥]، وأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بقتل المشركين.

✍وقيل: أنَّ الدين قد تبين، فالإنسان لن يدخل الدين إلا وهو قد عرف أنَّه الحق، وليس فيها دليل على أنَّ الإنسان إذا بقي على الكفر أنَّا لا نأمره بالإسلام، لا، يجب أن تأمره بالإسلام، ويجب عليه أن يُسلم.

قال:﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ﴾ يعني: تميز، والرشد يعني: الصلاح والفلاح، ﴿مِنَ الغَيِّ﴾ يعني: من الضلال والضياع، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ يعني: من يجحد الطاغوت ويبتعد عنه ويتركه، ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ يعني: يوحِّد الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ يعني: تمسك بـ"لا إله إلا الله"، ﴿لا انفِصَامَ لَهَا﴾ يعني: لا انفصال لها، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قال: (وَفِي الحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ: الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)، ذروة يعني: أعلاه، ثم ختم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالة المباركة بقوله: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يوفقنا وإيَّاكم لما يحب ويرضى، وأن يأخذ بنواصينا للبر والتقوى، والله أعلم.

وصلى الله عن نبينا محمد